
رواية
لا تغفرن
هُدى سَالم
تشكيل للنشر والتوزيع

لا تغفرن

رواية

هدى سالم

تشكيل للنشر والتوزيع



Email publish@tashkeel- publishing.com

Website www.tashkeel-publishing.com

Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-73-0

رقـم الإيـــداع: 3215/ 2018

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

الإخراج الداخلي : ضياء فريد

المـديـــر العــام : سيد شعبان

تمهيد

عندما تبدأ خيوط الشمس الحارقة تتسلل إلى روحك..عليك أن تحجب عنك نوافذ الخوف، وتسطع كما لو أنك لأول مرة تولد على جناح التجربة..ستصفعك الحياة بحقيقتها المؤلمة، وستفجعك الناس بطبيعتهم المتقلبة خلال دقائق، لا خلال أيام..فالنفوس تتغير طبقا لرغباتها واحتياجتها..

خلقت أنت لكي تتألم في سكون ولا يشعر بك غيرك؛ لذا عليك أن تتعلم..هون عليك..فستعود إليك نفسك قريبا. عندما تتيقن أن لها حق الرجوع..و لها حق العيش..

هنيئا لمن نضج ولم يعد يكترث لشيء...



رحم لا يليق بك

سأستعيد حاضري.. لا ماضيّ، وسأنفض ما تركه الزمن على ثيابي من أزمات.. ربما أجد نفسي مرة أخرى.. ربما ألملم ما بعثرته من كياني الممزق.. سأعترف لي (**بسر**).. أنا لم أعد أهتم بشيء، حتى إنني لم أعد أهتم بالنظر في مرآتي أيضًا.. لا أحادثني.. لا أصارحني.. أتجسس على قلبي من بعيد.. فإن وجدته ينبض أطمئن وأرحل في صمت.

لا أفتح معه مجالا للحديث.. وأي حديث أفتحه مع قلب محطم... عبث.. وهل في نبش القبور راحة؟ لن أنبش قبري بيدي.. يكفى أنني وحدي من تلقيت عزائي.. لا أحب أن أجرب أن أُعَذَّب مرتين.

وكعادتي كل يوم أنتفض من سريري في ذعر، وكأنه لدغتني حية أقسمت على بث سمها في جعبتي أنا أولا، لأجد نافذتي مفتوحة على مصراعيها، وأهم مسرعة لأغلقها حتى لا تصيبني بلسعة برد قارصة تؤذى جيوبي الأنفية الملتهبة، حيث لا وفاق بيني وبين الشتاء أبدًا، ولا أعلم لماذا هناك من يدعون على أنفسهم أنهم عشاق الشتاء.

الشتاء لا يرحم القلوب الطيبة والنفوس البريئة التي لا تنسى الذكرى المؤلمة، فهي تجدد لهم ما قد عاشوه في زمن مضى يعج بالألم.

ودون وعيي أتعرقل كعادتي في ارتداء (**الشبشب**)، حيث أعانى من التهاب الأعصاب.. التهاب الأعصاب ليس مرضًا أو عرضًا، إنه صديق وفى لأصحاب الشعور المفرط، الذين يوفون أكثر مما يبتسمون.

وكعادتي أقف أمام مرآتي خلسة، أتفقد ذلك الوجه العابس الضاحك خفية، يرسم ملامح جادة أمام الآخرين ليتوهموا أنني أنثى ـ صلبة جدًا ـ حد الكسر، فكلما بدوت أكثر صلابة وعنادًا تعافيت ومررت أمامهم بسلام.

أغسل وجهى ولا أعلم لماذا يتوجب علينا كل صباح أن تزور المياه مسام الوجه.. المياه لا يمكنها إسقاط الأقنعة التي نرتديها نهارًا ونخلعها ليلا عندما نتوسد الأفكار والمواقف والهموم، فنعود إلى فراشنا أشخاصًا آخرين سوانا.. أخرج من غرفتي لأعيد تشغيل (**فيروزتي**) التي تشعرني بأن هناك حياة (**حياة نعيشها رغمًا عنا**) وتستوقفني كلماتها وإحساسها عندما تصرخ (**يا سنيني اللي رحتي ارجعيلي**) وأجدني بغضب أقول (**لا يا فيروز.. لا أريد أن تعود سنيني التي رحلت أبدًا، لا تأخذيني معك هناك ولا تذكريني**) وأسكت تلك الأغنية على الفور.

أين صوت خالتي الذي لا أسمعه؟ ترى هل ما زالت نائمة؟ أذهب إلى غرفتها فلا أجدها.. وبصوت مرتفع ككل صباح (**أين أنت يا امرأة.. إنتي فين يا زوزو**).. أعشقها مرتين تلك الإنسانة، لقرابتها ولإسمها (**فيروز**).. فأنا لدى فيروزتان أعشقهما.. خالتي ومعشوقتي.

أجدها هنا في شرفتها البسيطة جدًا، على حد قولها (**تتشمس**).. تتحدث مع العصافير التي تقوم بتربيتها في عشق.. أقاطع حديثها معهم.

- والله شاكة إنك عاشقة عصافيرك أكتر منى

ترد ضاحكة:

- ما انتى عارفة صباحى.. مبيحلاش من غير شقاوتهم ومن غير غلاستك إنتى كمان.. فطرتى؟

- ما انتى عارفة برضو إن صباحي مابيحلاش من غير ما اجى وأغتت عليكي يا زوزو قبل ما افطر.

وأقول كلماتي وأصابعي على خصرها.. أداعبها فتضحك، فهي تغار جدًا.. وعندما تغار يعلو صوت ضحكاتها فتكسبني حياة أخرى.. أليست فيروز أخرى.. فهي الوحيدة التي تعلم أن ضحكاتي أحيانًا (**بكاء**).. هي تدرك جيدًا أنى أنطفئ – ولو سيأتي ذلك اليوم الذي يصبح مزاحي فيه من فرط السعادة لا من فرط الشقاء – سأغتسل من الحزن يومًا ما لأنني أعلم جيدًا أن هذه الدنيا لا تمنح كل ما تشتهيه أنفسنا، فهل نحن ضحية الآخرين أم ضحايا لأنفسنا !!!!!! حتى كبرياؤنا يمنعنا من الاعتراف بعمق جروحنا.

وفى منتهى السرعة لألحق بالعمل قبل موعده، أرتدي ثيابي مسرعة.. أحتسى قهوتى التى صنعت من يد أكثر الإناث حنانًا (**زوزو**).. و لا أنسى أن أركض إلى غرفتى مرة أخرى لأقبّل صورة أمي وأشتم عطر أبى المفضل، فلن يكتمل لى اليوم إلا بتلك النفائس الصغيرة التي تمنحنى بركة اليوم.. محدثة أمى.. أحاول أن أطمئنها أنني ما زلت بخير (**أنا كويسة**

يا ليلى.. مبسوطة بس مش مرتاحة.. من غيرك موجوعة أوى.. اللى مصبرني إن خالتي - توأمك - بشوفك فيها واشم ريحتك فيها.. تخيلي يا ماما.. حتى الحضن هو حضنك، ما يفرقكوش عن بعض غير الأسماء).

وتنهيدة طويلة، تشبه شهيق غريق أوشك على لفظ أنفاسه الأخيرة، مستكملة حديثى معها (أنا بس خايفة من الأيام.. ولا أقول لك بلاش نكد ع الصبح.. قلت أودعك قبل ما انزل.. هتوحشينى لحد ما ارجع.. مهو لازم ألحق المواصلات قبل زحمة الشوارع.. ما انتى عارفة باكره الزحمة قد كرهى لإسرائيل كده - نصف ابتسامة-.

ممسكة بعطر أبى "**وحشتنى ريحتك أوى يا صاحبي.. برفانك ده الحاجة اللى فضلالى منك لما كنت بتاخدني ف حضتك وأقول لك بالراحة يا بابا.. البرفان ريحته جامدة.. فتقول لي مش أجمد من حبي ولا حضني ليكى.. صباحك ورد زى خدودك**".

وبينما أطبع قبلتى على صورة أمى وعطر أبى، إذ بصوت خالتي.

- عنااااااااااااااان

نسيت أن أعرفكم بعنان.. (شابة حلوة صغيورة.. فرفوشة وعنديّة زى ما بيقولوا.. وشقية وغيورة وعصبية وراسها ناشفة.. يمكن عشان ما بفكرش قبل ما أتكلم وواضحة مع الكل.. إيه ده؟ هو أنا قلت فرفوشة؟ نعم ضحوكة كليلة مقمرة ولكن مليئة بالشجن.. من يعرفني جيدًا لا يسألني ماذا بك لأنه يعلم أنه لا إجابة لدى.. ومن لا يعرفني يظن بأنني أشكو من هالات سوداء أسفل عيني نظرًا للأرق أو قلة النوم.. لا.. ليست الهالات السوداء نتيجة للأرق أو الضغط النفسي.. ربما تكون عصارة عمر في

الابتلاء.. فقد حكم القدر أن أكون يتيمة الأم والأب.. أمكث مع خالتي الحنونة في منزلها المتواضع.. أغفو وأفيق على ابتسامتها الحنونة لأسترد ما تبقى لي من أمل.

وكالعادة لحظة وصولى للعمل "**صباح الخير للجميع**" وإذ تلحق بي سكرتيرة التحرير وتنادى.

- عنان.. الخصم بتاعك اللى الريسة قررته أتلغى

يستثيرنى الفضول والتعجب فى آن واحد.. متجهة إليها.

- إزاى؟ ليه؟ معقول ده؟

- أيوة.. معرفش.. روحى اسأليها.. هى فى انتظارك

- ما بلاش انا.. دى تطيق العمى ولا تطيقنى

عبوس على وجهها.. تتجاهلنى وتنصرف عنى قائلة.

- إنتى حرة

يقتلني فضولي وقلقي.. هل أذهب إليها لأعرف لماذا توقفت عن معاقبتي.. أم أتجاهل الأمر؟ في حيرة أنا من أمري.. سأذهب.. فهي ليست مخيفة إلى هذا الحد.. إنها بالأخير امرأة لديها قلب.. ومن يملك قلبًا في هذا الزمان نادرًا ما يقسو.. هي ليست مصاصة للدماء.

ففي طريقي إلى مكتبها سأطرق الباب.. لا.. سأتراجع.. وهو كذلك.. سأطرق الباب ولله الأمر.. إنها امرأة حسناء قليلة الكلام.. ولكن إن تحدثت أسكتت الجميع، لا تقبل بألوان الطيف في الحوار معها، تكره التلون بجميع أشكاله.. شخصية جادة.. يقال أنها حنونة (**نصف ابتسامة**

ساخرة).. هيهات.. فأنا لم أجرب حنانها هذا.

ـ صباح الخير يا أستاذتنا

لم ترد.. وما الجديد؟ فهي لا ترد على صباح الخير وكأنه سباب موجه لها.. أقطع هذا السكون المفعم بالارتباك.

ـ هو أنا ممكن اسأل سؤال؟

لا ترد.. ممسكة بقلمها تدعى الانشغال.

ـ تمام.. لما تفضى حضرتك أبقى آجى واسأل سؤالي

وأخيرًا نطق أبو الهول.

ـ لحظة يا عنان.. ,وهنا التقط أنفاسي

ـ حاضر

هي تقف بعظمة.. تتمشى نحوى ببطء خبيث حول مكتبها متجهة إلى نافذة تطل على الشارع العمومي، وتشير بيدها أن آتى إليها.

ـ عربية مين دى؟ تعرفي؟

ـ لأ حضرتك

ـ متأكدة؟

ـ أقسم لك

ـ دي يا ستي عربية (**أ/ فهمي محسن**)

ـ ده رجل الأعمال المشهور

- الراجل ده جالي هنا من شهر واشتكى من مقالة سيئة كتبتيها في حقه وبعد كده رجع لي، وشكرني على مقالة انتى نزلتيها اعتذارا له.

أقاطعها "**فهمت حضرتك.. أنا اعتذرت لما أتأكدت بالأدلة انه إنسان شريف**".

تقاطعني "**أنا معنديش إنسان شريف أو غير شريف.. أنا عندي إنسان يستحق نكتب عنه أو ما يستحقش.. المهم أنا لغيت الخصم المادي اللي مضيت عليه لسبب واحد.. إن هو شخصيًا طلب أرفع عنك أي عقاب وطلب كده بإلحاح شديد.**"

أنا (**بنظرة مختلسة على السيارة من النافذة**).

- أشكرك يا فندم

- تقدري تمشى على شغلك.. وما اشوفش وشك هنا لحد ما تتعلمي ازاى يبقى معاكي أدلة قبل ما تتكلمي على حد بظلم.

إيماءة كبرياء وانصرفت بهدوء وأغلقت الباب خلفي بشيء من الضجر.. تبًا لتلك الحياة التي ترغمنا على تحمل أناس ما زالوا يعيشون بيننا في عصر الجاهلية باحتراف.. لا يعرفون للأخلاق سبيلاً.. تبًا لظروف جعلت الحمقى كبارًا وأساتذة.

ماذا نفعل !!!!! فالأزمات كاشفة لمعادن الأشخاص.. الأزمات تقف كالشوكة بالحلق معاتبة لك.. قائلة "**لماذا لم تتعلم بعد؟ لماذا لم تضع حدودًا للناس والأشياء؟ لماذا لم تبادر بالانسحاب حين نزفت روحك؟ كيف صبرت وابتلعت مرارة المواقف والصفعات الواحدة تلو الأخرى.**"

الأزمات - يا سادة – فاضحة للنفوس من حولنا.. تمنحك الأصيل وتمنع عنك الحقير والجبان وصاحب المصلحة.. وذلك الشخص صاحب السيارة الفارهة ربما دفع أكثر هذه المرة ليجبرونني أن أكتب عن نزاهته.

وانتكست بالفراش بضعة أيام.. انتكاسة تعب ليس جسديًا، وإنما انتكاسة روح.. فقد يتألم بك كل شيء.. كل نفس.. كل رشفة حياة إلا جسدك.. فقط جسدك يتأثر.. هل سمعت عن أنين الضلوع.. إنها تشكو من فرط كتمانك.. من فرط تقصيرك بحقها.. وتكون آخر شكواها إليك إرهاقك الجسدي.. بينما إرهاقك الحقيقي هو الذهني والنفسي والعصبي.

غبية أنا.. حمقاء.. فأنا لم أمنح نفسي يومًا عطلة من التفكير.. لم أمنحها عطلة من الشجن.. لم أتركها تستريح ولو قليلا فوق أريكة الزمن.. بل أشدها دائمًا إلى بحيرة الألم والأوجاع.

زوزو تطرق بابي.

- طبعًا محتاجة الشاى السخن من إيدى وكام سندوتش مسح زور لحد ما أجهز لك العشا.. صح؟

تحاول رسم ابتسامتي كعادتها.

- بصى.. أنا عاوزة حاجة تانية خالص

تقاطعنى للحظة.

- عارفة.. يبقى حضن جامد من زوزو.. طماعة زى اللى خلفوكى

نصف ابتسامة منى وعناق حار منها.

ـ هما اللى خلفونى كانوا طماعين أوى يا زوزو؟

ـ الله يرحمهم بقى

أتذكر في تلك اللحظة أنها كانت تروى لي قصة وفاتهما البائسة التي تمثلت في أبشع موتة بين طيات البحر من أجل حياة أفضل، فكان مصيرهما الغرق وترك طفلة صغيرة لا يتعدى عمرها الأعوام العشرة بين يدى خالتها.

تقاطع خالتى حبل أفكارى الحزينة.

ـ ما قلتليش.. عايزة زتون أخضر ولا اسود جنب السندوتشات.. ولا اقولك أنا هقوم أنام وانتى نامى خفيفة كده.

ضحكاتى تعلو مزاحها.

ـ كنت عارفة ان بعد حضنك ده هتبيعينى

ـ طب بذمتك.. حضني الحنين ده ما شبعكيش؟

دمعة مشبعة بالإيجاب.

ـ بحبك

ـ وأنا كمان

ـ ياللا.. تصبحي على زوزو وعصافيرها اللي واجعين دماغك

طبعًا واهم.. واهم من يظن أن الحياة تنتظره بشغف أو أنها تختنق لأجله.. أو قد يحترق العالم لبكائه أو ينشغل الوجود بأمره.

واهم من يجلس في شرفة الأيام منتظرًا عطاءها.. قليلون هم من يتربصون صباحك ويأملون لقاءك ويهتمون لأمرك.. بل نادرون.

الأنثى التي تدعى الصلابة هي صديقة للبعض وأخت للجميع.. تخشى الوحدة ورغم ذلك تهرب إليها.. تعتاد الصراخ بلا صوت.. تعتاد البكاء بلا دموع.. دائمة الإنصات لصوت السماء حين تغيم، وكأنها تنتظر تحذيرًا آخر يحمل بين طياته الخوف والترقب.. دائمة الصبر، وكأنها ترقد بين شفاه مقبرة للغزاة.. عالقة بين حلم راحل وأجل قادم.. عذبة كلماتها.. إن أجريت معها حديثًا عن الدنيا وجدتها أكثر الناس لهفة وأشدهم غرقًا وأولهم عظة وآخرهم ثباتًا.

لماذا الذين يسكنون في داخلنا لا يهربون ولا يكلون؟ مقيمين بين جوارحنا رغم أنف الأيام.. ولماذا علينا أن نحملهم بين فتات الماضي وعبق الحاضر.

أشلاؤنا ملعونة.. ممزقون كوريقات خريف قديمة بثغر رقيق الملمس لا ينطق إلا خداعًا.. نضحك على أنفسنا.. عبث ثم عبث حين نتوهم أننا نسيناهم.. حين نصطنع رحيلهم من شريان يستغيث دومًا أنفاسهم الحية حولنا.

والحقيقة أنني تأكدت أن الأشياء التي تغادرك هي تلك التي أقسمت على بتر جزء لا بأس به من السعادة الكامنة بداخلك.. أقسمت على إحياء ما تحاول دفنه أعوامًا، زاعمًا أن النسيان مهنة صعبة المراس ولكنها تليق بك أو تعتادك وتلبسك كمعطفك الذي ترتديه كل شتاء عندما تصدر السماء قرارًا بهطول الثلوج فوق رأسك اليابس الذي لم ولن ينسى.

وإذ بي أصحو على صوت أحباب زوزو.. عصافيرها.. وصوت وردة وهى تقول "**أنا منك وانت منى**" أغنية (**حنين**).

الله يا زوزو على الجراح الفريش المرشوشة بالغم ع الريق.. ما بدهاش بقى.. اما أقوم لها.

- زوزو.. زوزو.. إنتى فين يا ست أنتي.. يا طيور يا مغرباني عن أهلى وعن زماني..

إيه ده.. مش دي أغنية لإيمان الطوخي؟ يا زوزو.. شكلك كده نزلتي تجيبي أكل لعصافيرك المقرفين.. واللا اسكت أحسن تسمعني بشتمهم وتخلى يومي نادى وضربي بالأيادي.

أسمع صوت خطواتها خلفي.

- سامعاكي.. بتغلطي ف عصافيري؟ دول هما اللى بيعرفوني أسرارك يا بنت ليلى.
- هو انا عندي أسرار يا وزتي؟ ثم تعالى هنا.. من إمتى وأنتي بتناديني بكده؟
- عشان فيكى منها.. كانت الله يرحمها بتصحي تزعق في الكل.. كانت مزعجة بس طيبة جدًا.. ياما كانت بتوصينى عليكي من وانتى فى اللفة وكأن قلبها حاسس إنها هتفارق..
- إنتى ما بتنسيهاش أبدًا؟
- أنسى إيه ياعنان؟ أختي؟ توأم روحي؟ إزاى يا بنتي !!!!!!!

وانهمرت الدموع التي قليلا ما كانت تظهرها لي خالتي، فكانت تتعمد ألا تبكى يومًا أمامي حتى في أشد لحظات الضيق التي تمر بها.. هي امرأة حنونة وهشة جدًا.. ورغم ذلك كنت أشعر أن بكاءها يفتح لى منافذ الصبر.. فلولا بكاءها ما كنت لأحتضن ضعفها أبدًا.

فهي التي آوتني بعد وفاة والديّ.. فلولاها أين كنت سأعيش وأين كنت سأذهب.. سيكون مصيري بالطبع إحدى دور الأيتام.

ولعل ثقبًا أصاب صدرك وحطم قواك جعله الله مهدًا لك وميلادًا جديدًا يهديك نفسك التي رحلت عنك منذ زمن.. فقد اختطفتني هي من الحزن لفراق أعز الناس.. هي ملاذ آمن لي.. وكثيرًا ما تنصحني قائلة:

- الحزن ما بيطولش يا بنتي.. هو ضيف تقيل ع القلب لكن مسيره يسيب مكانك ويشوف غيرك.. هتفرحي وهتعيشي وهتكملي مشوارك في الدنيا.. ما تسيبيش شيء يكسرك.

ولكن من منا بإمكانه النسيان؟ نحن لا نلتفت للأشخاص أو الأشياء إلا بعد رحيلها، عندما تنسلخ منا رائحتهم، عندما تجف اليد التي كانت رطبة بالمحبة.. عندما تتأوه الروح بعد فراق ملعون لا يؤمن بالبقاء على أرض مهددة بالموت.

أعترف أن النسيان مهنة.. لا بل (**مهمة**).. النسيان ليست مرحلة كما يعتقد البعض.. النسيان رحلة طويلة جدًا.. ليست رحلة، إنما رحيل..

رحيل إلى دنيا لا تعرف الرحمة.. فعندما تقرر أن تنسى – لا لا – منذ متى والنسيان قرار.. إنه فرار.. الماهر فقط من يقوى على ذلك الفرار.

تعبت؟ نعم.. لا أخجل أن أقول أنى تعبت.. تعبت من اللحاق بي.. إنني في حيرة من أمري.. هل أستجمع قواي فأقف من جديد.. أم أتخذ القرار بالفرار..

ملعون ذلك الفرار الذي يغتالني من حين لآخر بين شهيق وزفير.

بين جرح وآخر.. بين صدمة وأخرى.. وأي صدمة؟ فقد تأتى الصدمات لحياتك شامخة مغرورة متعجرفة كفتاة غجرية رائعة الهيئة.. ولكن سمها لا يرحم كأفعى نائمة في بطن زورق مهدد بالغرق.

الصدمات لا تختار الأشخاص.. لا تختار أصحابها.. ولكن تعرف كيف تجيد الحضور. كيف تستنشق أنفاسها الطيبة من بعيد؟.

الصدمات صديقة الطيبين، أخت الرائعين وجليسة الصابرين وقاهرة المستضعفين.. تقيم بجدار عميق.. تفتك بأوردة الصامتين.. الكاظمين الغيظ، فالكتمان لعبة.. دمية تحركها المتاعب فينا، والصبر قضية.. والوقت هو الجلاد. وأنت وحدك القاضي.. والمحكوم عليه بالإعدام هو نفسك.

هل لأننا أضعف من مهمة النسيان؟ أم أجبن من أن نتخذ قرارًا بالرحيل؟.

نحن بحاجة للشجاعة.. في حاجة للإقدام لننسى، وحتى لا ننسى.. نحن نسئ للنسيان. لا نفى له.. غادرون جدًا.. وقساة وظالمون. فعندما نقرر أن ننسى أحدًا.. لا نفى بذلك وكأننا نقطع وعدًا بالكذب..جاهزون لخيانة عهدنا معه.. ندعى رحيله من داخلنا.. نجهر برياء ونخفى اللوعة.

وربما لا ننسى أننا في مهد ولادتنا ولدنا أنقياء.. نتغذى على أشجار الصدق والوفاء لمن نحب حتى ذبلت ملامحنا. كنا نرتوي في أكواب مصنوعة من رماد الطهر..

الطهر يا سادة لا يزور القلوب المتسخة.. الملوثة بالضعف اللعين.

أقصد هنا الضعف العقيم الذي يبتر أنفاس وأذرع صاحبه.. ولكن اتساخ القلوب يختلف عن القلوب الملوثة بالضعف. القلوب المتسخة : هي القلوب التي لا ترحم أحدًا.. حين تقرر أن تغادرك لا تمهد لك بذلك ولا تناقشك.. تغادرك مكسورًا مشوهًا..

وأعود من العمل.. بعد يوم طويل شاق..

فقد تقدمت بطلب أجازة لا بأس بها كاستراحة ذهنية لي.. فأنا لم أطلب أجازة منذ شهور طويلة.. في حاجة أنا إلى الراحة..

أصل إلى البيت وأدخل على عجل لأجد زوزو تصلى.. وأسمع دعاءها لي براحة البال، أخلع ثيابي في بطء لأسترخي منهكة فوق فراشي متعبة.. ورائحة طعام خالتي الشهي تستثير حواسي.. تحرضني على القيام لأتفقد ماذا طبخت لي اليوم.

صوت العصافير يعلو وكأنهم رأوا فأرًا ضخمًا يريد التهامهم.. يصرخون ويصرخون مستغيثين بي.. فأذهب إليهم لأجد أنهم يتصارعون على الطعام.. لا أكثر ولا أقل..

كم أنتم مزعجون !!!.

يقطع صراخهم صوت أحدهم قائلاً.

ـ مساء الخير

فأعلى شرفتي يسكن جار لنا.. شخص غريب الأطوار.. فتارة نجد أنه لا يعرف للابتسام طريق.. وتارة أخرى نجده شخصًا اجتماعيًا ضحوكًا متفائلاً لا يبالى للحياة.

رجل يجمع بين الطيبة والخبث – على حد شعوري بذلك – هذا الشخص متقلب المزاج يثير فضولي لأعرف.. لماذا يظل وجهه عابسًا رغم ابتسامته التي تزوره من حين لآخر كعجوز ربحت جائزة ملكة جمال الكون.

فقد لا تصدق أن ذلك الرجل يمكنه الابتسام لكثرة عبوسه.. حتى أنك قد تندهش أنه قد يرد عليك السلام.

ـ سهرانة يعنى

ـ إجهاد الشغل.. أول مرة آخد أجازة من شهور.. أو تقدر تقول ملل

ـ مين قال ان الملل بيسبب السهر؟

ـ ومين قال ان المجانين بيسهروا؟

تعلو ضحكاته.

ـ طبعًا أنا المجنون.. مش كده؟

ضحكة عالية أخرى ومحاولة منى لكسر ما سببته من إحراج له.

ـ ما قصدتش ده.. بس كان فيه واحد من يومين بيخبط علينا زى المجنون بسبب قطع الميه عنده وكأننا سبب كل مصايبه في الحياة.

نسيت أن أخبركم أن هذا الشخص – رغم فظاظة أسلوبه – إلا أنه قادر على إضحاكي أحيانًا كثيرة بسبب تصرفاته غير المنطقية.

ـ أعذريني، أنا لما ببقي.....

ويقطع حديثه:

ـ ببقى مش واعي للى بعمله

ـ لما بتبقي إيه بقى؟ مش فاهمة

ـ ما تشغليش بالك.. وبعتذر لك يا ستي عن جناني.. ويمكن أريحكو من جنانى ده فترة إن شاء الله..

ـ قصدك هتعزل من هنا مثلاً

ـ أو هعزل من الحياة كلها.. محدش عارف

ويعم السكون فجأة.. يصاحبه صوت للرياح عجيب..

ويتخبط هو في الحديث، وكأنه لا يجد ما يقوله لي.

ـ أقولك.. تصبحي على خير

ـ وانت كمان

مشكلتي أنني لا أجيد التعامل بوجهين.. لا أضع بين كلماتي قطع السكر.. ربما أنسى أن أتذوقها أيضًا قبل أن أتلفظ بها.

أنسى دومًا أن الحلوى صنعت من النيران.

وعلى النيران أن تدرك أنه حينما تساعدنا في صناعة الحلوى، ما هي إلا عامل مساعد ليس لها حق التصرف في خلق مذاقها.

النيران التي تساعدنا على خلق صنف نحبه، هي أكثر الأشياء احتراقًا لأجل حصولنا على ما نرغب.

فلماذا لا يعرف الآخرون أننا قد نحترق عندما نضع السكر فى حديثنا معهم.

قد ينتابنا شعور النفاق وهو يأكل في أحشائنا ويتغذى على صدقنا.

وحديث آخر لنفسي.

- يا سيدتي لا تتعجبي.. فالعالم يكتظ بالمنافقين.

- هل كل من يضع السكر في كلامه منافق

- أبدًا.. ولكن علينا أن نتذوق حروفنا قبل أن تجهش باللعنة.. منسكبة في إناء من السب المغلف بالوقاحة

- أي وقاحة؟ أنا أنثى لا تجيد الوقاحة.. فقط أجيد الصراحة.. وربما كان هذا سبب عنوستي.

- لعنك الله.. ما هذا اللفظ؟

- العنوسة ليست لفظًا.. إنما اعتراف من مجتمع لا يعرف ولا يعترف إلا أن العنوسة للإناث فقط.. ولا ينطبق هذا الاعتراف

إلا عليهن.. فلماذا لا نطلق على الرجل الأعزب هذا اللقب الكريه؟ لماذا عندما يتخطى عمره الثلاثين أو الأربعين لا نطلق عليه هذا اللفظ المقنع المصحوب بالوجع ونسميه فقط «أعزب ولم يلتق بمن تشاركه الحياة»

ومشكلتي أنني أعير انتباها شديدًا للأمور الصغيرة.. الصغيرة جدًا.

فقد يشد انتباهي الطريقة التي يتحدث بها من يحادثني بغض النظر عن محتوى كلامه..تجذبني نظراته وحركات يديه، لا أهتم بكلماته أو تلاعبه بالألفاظ التي يستعرضها أمامي كبطل يقف على المسرح يريد أن يصفق له الجميع قبل أن ينتهي من جملته القوية، التي ستخترق طيات عقلك وتجذبك إلى عالم من الجمال والمتعة. تجذبني وتهمني التفاصيل دائمًا.. والطريقة التي يعبر بها هذا البطل عما يرغب أو يود شرحه.

لست فارغة من الداخل.. إنما مشوشة.. لأنه في الوقت الذي أريد أن أقول فيه كلامًا ناعمًا.. أجدني كـ (**نمرة**).

لا يهمها سوى أن تنقض على الفريسة بمخالب امرأة ثرية مغرورة النفس.. تحقن وريدها كل يوم بدم التكبر قبل النزول إلى الشارع وقبل مواجهة الآخرين بكامل قسوتها.

نعم.. أعترف بأنني في اللحظة التي أود أن أكون فيها ملاكًا.. يهمس لي شيطاني أنه لا مكان للملائكة على هذه الأرض.

وإذ بخالتي تعاود منادية..عنااان..تحبي اعمل لك إيه ع الغدا بكرا؟.

من امتى بنسأل الأسئلة دي يا زوزو...هو انتي عملتي حاجة قبل كده و اعترضت عليها.

اللي بتعمليه باكله وأنا ساكتة حتى لو كان عك...تحتد في كلامها ضاحكة...

انا بردو اللي بطبخ عك...!!!!ما تفرجيني على أكلك انتي يا شملولة.

أضمها إلى صدري مسرعة لأتهرب من ذلك الحوار ذو الرائحة الشهية....

هو انا اجي حاجة جنبك يا قمر.. ده أنت الشيف لا يعلى عليكي يا أم العيون العسلية.

أيوا يا ختى اضحكي عليا بكلمتين و كلفتيني عشان ماعرفش أرد وتهربي من موضوع الطبخ ده...هتتجوزي ازاي والنبي كده...

اتجوز واسيبك لوحدك !! ده يرضيكي بذمتك !.

آه يرضيني..مالكيش انتى دعوة بيا... حجتك إيه بقى خلصتى جامعتك وبتشغلي و زي القمر...ناقصك إيه تاني..

وهناك تفرض التساؤلات نفسها..ما الذي ينقص الأنثى بعد تعليمها وتوظيفها..خاصة لو حصلت على وظيفة تحبها وتروق لها...ينقصها (**رجل**)....

ولكن رجل يعتمد عليه..تستند عليه..تثق به...تمنحه حياتها بكامل قواها القلبية.. ولكن الآن العالم تغير..وتبدلت الأحوال لم يعد في استطاعة بعض الرجال الالتزام بالوعد..أو البقاء طويلا في العلاقة.. لم يعد في إمكانهم التشبث بإحداهن..والعمل على الحصول عليها أما لأسباب مادية أو نفسية..

وتقاطع خيالي يد زوزو الحنونة على وجهي محاولة إيقاظي من حديث نفسي الطويل وفي يديها كوب اللبن الدافئ التي اعتادت أن تجلبه لي كل مساء..فمازلت بعينيها طفلتها المدللة..

.يعني ماردتيش عليا ناقصك ايه عشان تتجوزي!!!...هتفضلي ترفضي لحد أمتى كل عريس يتقدم..!!.

أمد يدي لالتقاط كوب اللبن المليء بالدفء...

هاقبل لما الاقي الحب يا زوزو...لما أحب بجد واتحب بجد..لما أحس أني مش عارفة أعيش من غير وجود حد معين في حياتي...وقتها اطمني هادخل دنيا الجواز وأنا متطمنة..

تجلس في تعصب تكاد لو تقذفني بالكوب بدلا من أن تسقيني إياه..قائلة: و ده هتلاقيه فين وامتى إن شاء الله !!.

يعلو وجنتي ابتسامات أخفيها سريعا قبل أن تزيدها حدة وغضب.

هو مش علبة جبنة ولا ساندوتش برجر اشتريه من مطعم معين.. الموضوع مش سهل يا زوزو زي ما انتى فاكرة....أنا محتاجة في حياتي رجل بجد..لو ما حصلش ده مش هاموت من غيره يعني...محدش بيموت من غير جواز..بالعكس ده إحنا ممكن نموت لو عيشنا مع حد يكرهنا في الحياة بدل ما يحببنا فيها...وقتها العزوبية تكون أحسن و أفضل كتير بدل الموت على قيد الحياة..

بقولك إيه..أنا مابفهمش في الكلام الكبير ده...أنا ست على قدي.. هاروح أنام أحسن..الكلام معاكي تضييع وقت.. ماباخدش منك لا حق ولا باطل...

وتنصرف عني تاركة لي الصراع الذي لا ينتهي وهو كيف أن نخشى الأيام لنختبئ في احدهم؛ هربا من الوحدة في يوم ما...هل نحن بهذا الضعف إلى ذلك الحد الذي يمنعنا أن لا نفكر بشيء آخر سوى وجود شريك نقتسم معه الحياة...ولكن نحن لا نعلم هل سيقتسم هذا الشريك الألم معنا كما يقتسم الفرح...هل سيتحملنا بالقدر الذي يجعلنا ألا نعيش بدونه...فالجميع بارع في الحفاظ على كآبتك..إنما الحفاظ على بقاءك فرحا لا يعمل على ذلك إلا من يحبك فحسب... وقليلا ما تعثر في هذه الحياة على من يحبك بكامل طيات مشاعره.

أكرر حديثي أنه لا مكان للملائكة على أرض مات فيها الطهر.. قد أعدم في ميدان ممزق الثياب يفتقر إلى الرحمة.

حقا.. قد اغتيل الملائكة منذ زمن..

نحن لا ندعى الفضيلة.. إنما لا نجدها كما ينبغي. لا أدعى المثالية.. أي مثالية لإنسانة تكذب على نفسها في الدقيقة ألف مرة، كاذبة لو قلت أنني أنسى من علمني كيف يصاحب الغدر قلوب الرجال. لا.. ليس جميعهم.. وإنما البعض لا يرى في نفسه سوى ملاكًا يعشق من قبل النساء.

لم يكن ملاكًا بقدر ما كان درسًا.. تعلمت.. وقبل هذا تألمت. لم أتمادى في تجربة معلقة فوق أحبال متهالكة.

لماذا نشعر أننا قد فقدنا القدرة على العيش كلما تحطمنا من الداخل؟.

بل فقدنا الحياة.. وكأن الحياة كانت شخصًا ترحل الحياة برحيله وتحضر بحضوره؟.

الحياة لا تتوقف على أحد.. أعلم ذلك جيدًا وأحفظ تلك العبارة عن ظهر قلب.

إن الحياة لا تقف على أحد أو شيء، ولكنها ربما تعيق حركتك. الحياة ماهرة جدًا حينما تقرر أن تبعثرك، فالحياة تعقد صفقة مع النفس في إيقاظ ما قد مات فيك من قوة.. ولكنها قوة مشوهة، فبعد حطامك.. لا تكون هناك أية رغبة في الخروج من فوهة الألم، ولكن علينا أن نعترف أن الخروج من فوهة الألم يستدعى القدرة على الإقدام، والإقدام لا يأتي إلا باغتسال وجداني عميق مما قد لوث تفاصيلك الصغيرة التي لا يلتفت إليها أحد.

فهذا العالم لا يهتم للتفاصيل الدقيقة التي لا تستحق أن تذكر، فقد يصادفك إنسان يزرع في مقبرة شعورك ألحانًا وورودًا.

يشدو بأغنيتك المفضلة فوق مقبرتك بدلاً من أن يقرأ الفاتحة على روحك التي فارقتك رغمًا عنك. قد تصادفه يفرش على جسدك الأمتعة التي تركها المغادرون من موطنهم الكئيب. فقد تصنع لك الدنيا إنسانًا من نور.. وتسخر لك قلبًا لا ينبض إلا بك، أو لنكون أكثر دقة.. لا تنبض أنت إلا به.

قد تخلق لك الأيام رحمًا تمتد مشيمته لأبعد مما تتوقع.. ممسكًا بخيوطك التي نسجت من الفرح في رحم يعج بالحياة، وتولد كجنين.. ولكنه جنين أصم وأبكم وأعمى، فهو عاجز حتى عن أن يصرخ..هل

سمعت يومًا عن جنين يخرج من رحم أمه عاجزًا عن الصراخ؟.

ها أنا.. لقد خلقت الحياة لي رحمًا لا يليق بي.. يلفظني قبل أن أكتمل.

فعندما تقرر الحياة أن تصنع لك رحمًا يحتويك، فقد اتفقت مع نفسك على ألا يكتمل فرحك، أو بمعنى آخر.. رضيت لك الدنيا أن تولد مبتورًا؛ فاقدًا لحواسك كلها حين تفقد أحدهم أو يغادرك أحدهم بلا استئذان.. يصفعك بلا رحمة.

فتخيل أنك خلقت من نطفة صنعت من الوفاء.. ومضغة صنعت من الصدق.. وعلقة خلقت من الحب..

ولكن لم تتذوق بعد من ثدي أمك شيئًا يعينك على العيش، فالجنين الذي لم يتغذ على أول قطرة من الحياة لم يشبع بعد.. سيظل جائعًا للعاطفة.. بل للعطف.

فجميعنا ليس بحاجة للطعام.. ولكن بحاجة للعطف أولاً..

فإن لم تجد العاطفة.. ستصبح مهترئًا. متهالك القلب والقالب كثياب لطفل مسكين يشحذ قوت يومه من فوق الأرصفة؛ منتظرًا لأحد من الأثرياء الذين يملكون السيارات الفارهة ليقذفوا له بفتات طعامهم باهظ الثمن في أقرب سلة للقمامة، فيلتقطها ذلك الطفل المتلهف بأعين ثاقبة تكاد تخترق تلك السيارات المارة أمامه على أمل أن يجد ما تبقى من فم هؤلاء قبل أن يشاركه الذباب في التهامه.



المواساة

سبق وأن ذكرت أنني أعانى من التهاب الأعصاب.. فمن منا لا يعانى في تلك الحياة.

فأسمى (**عنان**)...إي السحاب...و القمة..

فقط قم بحذف الحرف الأخير وضع مكانه همزة.

سيصبح (**عناء**).

على ذكر كلمة (**عناء**).. فمن يعانى ألم الأعصاب شخص لا ينام جيدًا. كثير الفكر والانشغال بالحاضر إن لم يكن في الأصل منشغلاً بالماضي.

فالأمر ليس بيده..

فالرحم الذي كنت أتشكل فيه كان خبيثًا.. أو ربما حمل مرضًا خبيثًا نطلق عليه (**الكذب**) فقد يأتي الكذب أو الخيانة من أقرب الناس إلى قلبك.. لا.. بل من رحم علاقتك به. فقد لا يقصد أو ينوى قتلك...

اغلب مهام عملي كمحررة أقوم بها في المنزل ؛ لا أحب الالتقاء كثيرا بأصحاب الوجوه التي تحمل نفاقا لاذعا...لا أجيد الاختلاط بمصطنعي

الفهم أو الجلوس بجانب أشباه الرجال..أكره الأحاديث الفارغة، ليس الجميع إنما أصبح الأكثرية (**يمثلون**) يصطنعوا المثالية..

يقطع خيالي صوت عم أحمد بائع الفول الذي كلما صاح (**فوووووول**) كأنه يود لو يشق جدران البيوت من حوله. رجل طويل القامة، صاحب صوت أجش.

عم أحمد الذي يمتعض من شباب هذه الأيام، فهو يطلق عليهم (**العيال البسكويت**).. وإذا سألته صدفة "**لماذا بسكويت تحديدًا**" فربما قد يسبك بعد الانتهاء من شرحه لكلمة بسكويت.. فلا أحد يجرؤ على الدخول في مناقشة مع ذلك الرجل الكهل إلا وخسرها..

ستخسر حتمًا أي جدال ستدخله مع هذا العجوز الذي شرب من السنوات حتى ارتوى.. بل دعني أصارحك أن السنوات هي التي شبعت من عقليته المعقدة. هو عنيد إلى الحد الذي يحرضك على الجدال معه في تلك الدقائق المعدودة التي تقف فيها معه منشغلاً هو في تحضير الفطور الشهي لك.

الله على ريحة الفول يا عم احمد.. ما بدهاش بقى.. أنا هاتشجع وانزل له.

من الصعب مناداة هذا العجوز إلا بـــ (**عم الكل**)..

ليس قليلاً عليه هذا اللقب.. فهو يحمل شموخًا يستفزك، فعلى قدر بساطته، فهو ذو طابع خاص.. يملك ذكاء خاصًا، فذلك البسيط له القدرة على قراءتك في ثوان من مجرد نظرة متفحصة لوجهك، وهو على قدرة تامة بمعرفة ما تخفيه عيناك. يعلم هل نمت جيدًا، أم حزنت كثيرًا، أم

أكلت حتى شبعت فرأيت كابوسًا يؤرق عليك يومك.

لا تندهش من ذكائه.. فهو لا يتلاعب بالألفاظ، ولكنه قد يقذفك بها كالحجارة إن وجدك تائهًا شريدًا، أو محتالاً أيضا.

فاحذر كلماته إذا لم تحصل على القسط الكافي من النوم قبل التوجه إليه..

فأنت لست ذاهبًا لشراء الفول فقط.. بل أنت عرضة لدش بارد في صباح قارص كتلك الأيام المليئة بالثلوج..

هل حدث لك أن ضربك أحدهم ذات يوم بكعب حذائه في مقهى أمام المارة والجالسين قبل أن يحاسب على المشاريب؟.

لذلك نادرًا ما أجعله يرى وجهى أمامه إلا على مسافة لا تقل عن 70 سنتيمترًا.

فأغلب الوقت أقوم بمناداته من شرفتي الصغيرة متهالكة السقف الذي سيقع فوق رأسي يومًا ما إن عاجلاً أو آجلاً.

أنزل له بقى وأمري لله.. ريحة الفول تصحي المهموم والمدلوق والشبعان وتدفي السقعان.

عم احمد.. إيه ده؟ أنا نسيت.. ده مش هيرد غير لو قلت له يا عم الكل.

هل هو لا يسمعنى أم يتعمد ذلك؟.

هعلى صوتي وأمري لله.. يا عم الكل صبااااااح الفل.

يرد بعبوس.

إخلصي.. محوج ولا سادة زى وشك؟.

بذمتك وشى ده مش كان حلو عليك قبل كده؟ ده كان بيجيب لك الزباين ورا بعض؟.

ابتسامة خبيثة منه.

أديكى قلتى (**كان**).. ما انا مشفتوش من شهرين ولا أكتر.

غصب عنى.. معلش الشغل بقى.

بحنو غريب.

خدى هنا يا هرابة.. شغل إيه ده اللي يحرمنى من رغيك معايا كل يوم ع الصبح؟.

وهو يضع لي أطعم فول في الجمهورية.

أنا لا هرَّابة ولا حاجة.. أنت بس اللي أروب بزيادة.

حاجبه الأيسر بدأ يهم بالحركة.. أستوقفه على الفور قبل أن تنتابه نوبة غضب لا داعي لها.

لالالالا بهزر ده أنت أسطورة.. حلو كده؟.

بابتسامة رقيقة تقابلها نظرة سخرية من عم الكل متجاهلاً كلماتي الأخيرة.

وبأعلى صوته.

فوووووووول.

أشهر أن صياحه هذه المرة محلى بالشتم اللذيذ حاملاً معنى (**الكلام لك يا جارة**).

عذرًا.. فماذا أفعل مع شخص بسيط قادر على فضح ملامحي؟.

فلا أنسى آخر مرة قال لي فيها "**غبية اللي تحزن على راجل حمار**".

نظرت وقتها خلفي وحولي... يمينًا ويسارًا لأعرف من يقصد بتلك العبارة.

تجاهلت الأمر حينها... ولكن هذه المرة يأكلني فضولي لأعرف ماذا يقصد هذا العجوز.

صحيح يا عم احمد.. آخر مرة وقفت قدامك هنا حدفتني بجملة زى الزلطة في دماغي لما قلتلى "**غبية اللي تحزن على راجل حمار**".

يااااااااااه.. هو انتى لسه فاكرة؟...يضحك في مكر ثعلب...هو فيه غبية غيرك؟.

ليه كده بس؟ ده انا الكتكوت اللى بيصحى كل فجرية على حسك يا جميل.. طب استنى.. أنا الغبية.. لا مؤاخذة مين الحمار؟.

ما تتخابثيش على الراجل العجوز أبو شنان متكشرة (**سخرية حديث ليس إلا**).

ولما هى متكشرة.. إيه لزمة الشتايم ع الصبح كده؟.

مستكملاً فظاظته معى.

إنتى عارفة لو أطوله.. هديله على دماغه وأجيبه على بوزه واخليه يبوس إيديكى كمان.

بقولك إيه.. إنت هتألف فيلم وهتخرجه كمان؟ الحق عليا أني بفضفض مع راجل عجوز فترة صلاحيته خلصت من زمان.

هي بقت كده؟ أنا بقى ليا فترة صلاحية كمان؟ يا بت أنا عم الكل بتاع زمان وكل زمان.

أنا ماشية يا عم الكل.. العالم بدأت تصحصح وكله عايز يفطر ويطير.. سلام.

بصوت شبه عال.

هتفضلي غبية.

بنظرة مستنكرة.

أنت قلت حاجة؟.

لالالالا بقولك خدي طعمية.

آاااه طعمية.. مش عاوزاها خليها لك.

وبعد سيرى بخطوتين.. أدرت ظهري لأختلس نظرة على عربته العتيقة.

إيه ده؟ الراجل ده عمره ما باع طعمية.

ويعلو صوت ضحكته من نظرتي البريئة قائلاً.

مع السلامة يا حلوة.. خليني أشوف وشك بكرة.

أصعد إلى البيت حاملة هذا الطعام الذي تفوح منه رائحة الجدال أكثر من رائحة الكمون.. وأتوجه إلى المطبخ لأصنع كوبًا من الشاي

يساعدني على هضم هذا الإفطار اللذيذ، بعد مشادة ضاحكة بيني وبين عم احمد.

صراحة أعرف أنني لا أجيد اللامبالاة.. والذين لا يتقنونها هم في الحقيقة أوجع الناس وأشقاهم.. كثيرًا ما يعيش الغليان في وريدهم دون أن يشعر أحد بذلك.. يذبحون في اليوم ألف مرة.

نحن نكره قول الحقائق بالفطرة.. نلعن في الخفاء من يخبرنا بها..

تعودنا تلقى الزيف على أسماعنا كراحة مؤقتة رغم علمنا مسبقًا أنها زيف. تعودنا ألا نسمع إلا ما يروق لنا.. ولا نشعر إلا بمن في مقدوره خداعنا، وما زلنا نتشوق حتى الآن إلى الأحاديث الناعمة ولو كانت كاذبة؛ لذلك علينا أن نتعلم من هذه الدنيا ثلاثة أشياء..

ألا نحترق من أجل جهلاء المشاعر ومنافقي الإحساس..

ألا نثق إلا في أنفسنا بعد ثقتنا في الله عز وجل..

ألا ننتظر العدالة من البشر.. فهم رائعون في تقلباتهم وكذبهم مهما فعلت لهم ومهما بذلت في قربهم..

بعض الأشخاص رائعون في بذل أقصى جهد لديهم في توريطك في الوقوع في نزواتهم،لا تعرف هل هم في الأصل يعانون من الفراغ الشعوري..إما بداخلهم كبت يفرغونه فيك..ليعوضون فقد الوحدة المؤقتة التي يشعرون بها !!!.

وبعضهم يتصيد ما بك من طيبة و تصالحك النفسي ليهجم عليك بطبيعته اللا آدمية..و لنقل اللا إنسانية في محاولة ترويضك لصالحه.. يستمر في تتبعك ليعمل على تخديرك كاملا لكي ينقض عليك بملذاته

محاولا بشتى الطرق كسب قلبك ثم امتلاكه..ثم يترك كلماته طعما مثيرا...فتدمن ذلك الطعم إلى أن يتأكد أنه حصل عليك أخيرا وتمكن من جميع نوافذ قلبك..ويصل بك الأمر إلى أن لا تجد ولا ترى ولا تسمع ولا تشعر بأحد غيره...

وهنا قد أفلح في امتلاكك للأبد...الماهر فقط هو من لا يقع في ذلك الفخ..ولا يترك نفسه رهينة لأحد، ولا ينساق خلف كلمات تصعد بك إلى السماء ثم تشدك إلى ما أبعد من الأرض..ترتطم حينها بالواقع...

وتصبح الصدمة أشد عليك من اجتياز معارك حربية..أشد عليك وطأة حين تتعلق بالشخص الغير مؤهل لقلبك وروحك..

عليك أن تدرك أن النهايات ليست متشابهة..لا يمكن أن تتشابه النهايات..ولكن قد تتطابق النيات حين تلتقي بمن يفقدك رغبتك في الحب والحياة...

ولكن الأمر جميعه في يديك..فأنت من تسمح بترويضك أو بكسرك.. أو باغتيالك، وأنت أيضا من تسمح باكتمال النهايات وتتويج السعادة والحصول عليها..والفقد كما يهدم فهو أيضا يبني...

ليس كل فقد خسارة..هناك فقد يكسبك مناعة التعود على الصدمات والتعايش معها..و فقد يجلب لك مكاسب قد لا تتوقعها..و فقد يعيد بناءك من جديد.



هدوء صاخب

تعرفت عليه أول مرة في إحدى المولات الشهيرة أثناء احتفال كبير برأس السنة..

وفى لحظات العد قبل دقات منتصف الليل..

١٠..٩..٨..٧..٦..٥..٤..٣..٢..١.

وفى صياح الجميع فرحة ببدء العام الجديد.. وقع بصري على شخص يجلس وحيدًا رغم ضجيج أصدقائه من حوله..

كانت شفاهه تتحرك بالعد التنازلي في حذر، وكأنه يخشى قدوم هذا العام.

لفت انتباهي عزلته عن الجميع رغم هذا الصخب، وإذ بقدماي تتحرك نحوه لا شعوريًا لأتفحص وجهه كاملاً عن قرب وأكتشف ما الذي يجذبني إلى ساحته الهادئة تلك..

هل ثقل هدوئه وحده كان سببا في ذلك.. أم نظرته المحبة لى من بعيد هي التي أخذتني من يدي إلى ساحته.أم غموضه المزخرف بالشموخ.. لا أعلم.

ولكن لم تغثني شجاعتي إلا الجلوس على طاولة قريبة من هذا الرجل. أفتعل الانشغال بالحفل.. وفى الحقيقة، الحفل كان بداخلي.

لم يشغلني في هذا الجمع الكبير إلا عينيه. وإذ بصوت خطوات تتوجه نحوى مسرعة رغم تباطؤ الثواني التي مشيت بها تلك الخطى ليجلس أمامي هذا الغريب مباشرة.

ونصف ابتسامة تغلف تلك النظرات الحادة التي تثير بك الشغف لتتعرف على صاحب هاتين النجمتين اللتين تحملان كبرياء العالم فى ثوب حياء أنيق.

كرم.. أسمى كرم.. دكتور لسه واصل فريش من باريس.. ما يبانش عليا باريسي خالص لأن لسه العقلية الشرقية لسه مسيطرة عليا بصراحة.. تحسي كده إن حد كان عامل لى عمل إنى أفضل بنفس العصبية اللى ساكناني.. أنا بحب السينما.. عاشق لأحمد زكى.. بسمع وردة وفيروز وحليم.. وبكره بمب العيد والصوت العالي.. عشان كده أغلب سفري بيبقى قبل العيد بكام يوم.. تقدري تقولي كده عندي عقدة من زمان..

أضحك من فرط الغرابة التي يتحدث بها...

عملوها فيا ولاد الجيران كتير.. ياما صحيت وأنا بصوّت مخضوض بسببهم.. نزلت تاني غصب مع شوية صحاب كل همهم ازاي يعرفوا يتخلصوا من البيت ويطفشوا من أهل البيت ويقابلوني.. قلوبهم متعلقة بالشارع والسهر أكتر ما هي متعلقة بأهاليهم.. أنا رغاي صح؟ بس مكنش ينفع قدام جمالك يبقى فيه صمت.

ابتسامة خجولة منى.

إزاى بس؟ مش هما بيقولوا "**لصمت فى حرم الجمال جمال؟**".

لالالا سيبك من الكلام ده.. سيبك من جمال وحسين وعلى.. ده كلام سوشيال ميديا ما ياكلش معايا لأن فيه جمال بينطَّق الحجر..

ما أنا كنت حجر من دقايق وقاعد في حالي لكن جمالك استفزني وخلانى أحط نهاية لسكوتي.

ألتفت يمينًا ويسارًا.. هل كان الحديث لي أم لأنثى أخرى، وفى هرولة أفتح حقيبتي لأنظر في مرآتي الصغيرة.. أحاول اكتشاف أي جمال يقصده.

بتبالغ.. أنا أقل جمال في وسط الموجودين.. مش شايف ملكات الجمال حوالينا؟.

تواضع كبير منك.. بس أنا لوحدي أقدر اعرف إن كنتي إنسانة عادية ولا جواكى جمال الدنيا كله.. واحد باريسي يعنى عاش الناس أكتر ما شافهم.

ويسود الاضطراب المكان.

أنا أتأخرت جدًا.. هو مش هروب منى بس فعلاً لازم أمشى حالاً.

وأقف بسرعة.. وإذ به يشد على يدي لأجلس رغمًا عنى.

أنا ممكن اسمح لك تمشى في حالة واحدة.

جعلني أتصبب عرقًا لأول مرة منذ سنوات.. فأتساءل في ارتباك.

إيه هي الحالة دي؟.

إنك توعديني تتصلي أول ما توصلي.

ثواني بس.. أتصل بمين وازاي وليه؟.

الرقم تحت مرايتك الصغيرة دى من شوية.. هتتصلى وأنا هستنى اتصالك.. سلام.. ياللا روحي أمشي.

وفى عجالة ألتقط مرآتي ولا أعرف لماذا قمت بالتقاط هذه الورقة التي تحمل رقم هاتفه.. وفى عجالة قمت بتوديعه.

سلام.

هل شعرت يومًا أن الأرض ليست دائرية بل أفقية؟ وكأنك محاصر بين الجليد.. تتجمد وتتجمد.

إنها كانت خطواتي المثقلة بالعجب، وكأن كل شيء بك يتوقف نشاطه تمامًا.

لصُّ هذا الشعور الذي يأخذك من دنياك ليغوص بك إلى عالمه هو.. هذا الشعور الذي يحترف السطو على جوارحك دون أن يستأذنك.. بل دون أن يخبرك بموعد التهامك فوق مائدة من الحلوى نادرة الصنع لتكون أنت أول الأطعمة الشهية التي تثير عينيه أولاً.

ومازالت رائحة الخجل تفوح من وجهي وأصابعي إلى نهاية أطرافي، ويتحول الجليد إلى نيران لا تهدأ من فرط الدهشة..

كيف عجزت أن أثور على هذا الرجل الذي ربما تكون مهنته الحقيقية ساحرًا أو شيطانًا وليس طبيبًا كما يدعى..

كيف استطاع أن يخرسني هكذا وأنا لم أقم بتوجيه بعض الشتائم التي قد تجرح كبرياءه الفوضوي...

هل إلى هذا الحد فتنت به؟ أم فتن هو بي؟ ولماذا؟.

هل في استطاعتي أن أقول أنني قتلت لا فتنت؟.

أنا التي لم تهتز لي أرجل في الغرام ولم تصعق لي سماء في الهوى.

أنا التي لم أعرف عنه سوى اسمه ومهنته وحديثه المعسول.

لا.. الغرام والهوى ابتلاءان بحاجة إلى شجاعة.. وأنا جبانة جدًا فى الحب.

جبانة جدًا في كل شيء وليس في الحب فقط. فأنا أنثى.. أؤمن بالانسحاب ولا أفعله.

أنثى تؤمن بأن للحب جزيرة خاصة يتناوب عليها الأذكياء والأغبياء أيضًا للأسف.

كانت أول قصة حب من الطراز الكلاسيكي الذي يتوج بالفخامة، وكأنك كنت مقيمًا فى متحف للتجارب النادرة.

هذا الرجل علمني كيف أستنشق الحياة وكيف أغزو المعارك وكيف أولد حرة في لحظات.

كأن هناك شيء ينتظرني.. شيء لا أعلمه.

الغموض الذي كان يتسلق فوق أكتافه ويتجسد في وجنتيه كان كافيًا ليأخذني من الشغف إلى الجنون به.

وأي جنون هذا الذي يمتلكك لبضع ثوان....

لا لن أتصل.. فسرعة دقات القلب تسبق أصابعي.. تتنافسان. من فيهما سيلتقط هاتفي أولاً. تتسابق حتى الأنفاس معاتبة تأخيري في إجراء تلك المكالمة.

من هذا الرجل الذي كتب فوق ثيابه "اتركني وشأني لكي لا تجن؟".

تشعر كأنك محاط بالقلق والشغف.. وما بين الرهبة والرغبة التي تعج بالرفض في اتخاذ تلك الخطوة.

وإذ بصوت ارتطام.. شيء يشبه كسر زجاج.

أفزع إلى المطبخ.. وإذ بعدة أكواب صغيرة ملقاة على الأرض قد ارتطمت وتهشمت مصدرة صوتًا عاليًا يوقظني وكأنه يحذرني. فالارتطام ذاك كان بمثابة تحذير وليس مجرد كسر للأكواب..

يقول لي: "**لا تتسرعي**".

وأحمد الله أن زوزو خالتي كانت غارقة في نومها حينئذ ولم تسمع صوت استغاثة الأكواب وسقوطها أرضًا.. بل استغاثتي وارتباكي أنا.

وفى تلك اللحظات دق هاتفي.. هل حقا شاشة الهاتف تضئ أم أنه يخيل لي..

أجيب بشيء من الفزع..

آلو.. مين؟.

يسود الصمت لثوان معدودة..أتساءل ثانية.

مين؟؟؟.

انتظرت مكالمتك.. أتأخرتي عليا..فكان لازم أنا اتصل..مقدرتش أنام قبل ما اسمع صوتك.

مين بيتكلم؟.....كرم؟.

أيوا..

عرفت رقم موبايلي أزاي؟؟!.

ضحكة ناعمة لها وقع السحر في نفسي مستكملا عذوبة همسه....

أظن في الأيام دي مش صعب أبدا على أي حد يعرف يلاقي رقم حد اهتم لأمره..

و هنا يأخذني غروري كأنثى تؤمن بالقصائد المعطرة برائحة الياسمين..

أنت بقى اهتميت بأمري؟؟؟.

يرد ماكرا.

مش بأمرك بس.. تقدري تقولي مفيش حاجة فيكي ما اهتمتش بيها.. حتى لون الروج اللي على شفايفك حالا ماسبتهوش في حاله....سكونك لوحده يكفي إنه يجبرني تكوني كل أمري. مش بس اهتم لأمرك....

يلحقني الرعب من تلك الكلمات الممزوجة بأنفاس تتطاير فرحا وقلقا في آن واحد...هذا الرجل له وقع الخطر في النفس...فهو فقط ليس أنيق الهيئة..إنما أيضا عذب الكلمة..يعرف من أين تؤكل الكتف..... يعرف كيف ومتى ينقض على فريسته الجميلة ليؤسر قلبها.

أصبحت أخشى نفسي معه،.

وبصوت هامس رقيق...عنااان رحتي فين؟.

معاك..هاروح فين..

هاشوفك امتى؟.

تشوفنى !!! بالسرعة دي.

أيوا..انا مش بسأل ولا بطلب..ده أمر.

تعلو صوت ضحكتي محاولة ألا تنفرط مني أكثر من ذلك..

هاشوفك بكرا وبعده وبعده..استنى اتصالي...تصبحي على خير.

يغلق الهاتف ويفتح ألف بابا للتساؤلات الكثيرة بداخلي...يفتح مئات صفحات من الاضطرابات الفكرية التي لا حصر لها..

اتصال يتبعه اتصال..لقاء يتبعه لقاء.. إعجاب يتبعه ارتياح ثم حب.

وفى إحدى الليالي، وفى لقاء من اللقاءات التي يخبرنا فيها القمر عن رغبته في صداقتنا.. رغبته في التنصت على حديثنا الشيق الذي يحمل عطرًا أخاذًا لا تخطئه الأنفاس، ولا تخالطه أي عطور ولا تنافسه جميع ما اعتصرته فرنسا في أعوامها السابقة والقادمة من روائح.. فلحديثه معي رائحة.

هل تخيلت يومًا أن يكون هناك للأحاديث رائحة؟.

نعم.. لقد حدث معي هذا. وكأن الكلمات كانت تتساقط من فوهة زجاجة عطر لا من شفتيه؛ شفتيه التي تكتظ بضجيج من الفرح..

تتزاحم الأحرف حولي لتتنفس رحيق صمته وكلامه في آن واحد..

ويا لسعادتي بذلك..

سكون وعنفوان عينيه.. فلم تكن عيناه عاديتين.. بل خلقت من ماء البحر ممتزجة بلون السماء.. تغتال جميع ما على الأرض من أحاديث..

فهل رأيت يومًا عينين وظيفتهما أن يغتالا جميع من يقترب من مدينتهما المكتظة بالحنو والأماني والشغف أيضًا؟.

وبهمس يقترب من وجهي، يحادثني بحذر شديد.. تتوهج أنفاسه وتكاد تحترق في طريقها إليّ.. يخبرني بصوت أسمعه بالكاد:.

وحشتيني.

إنها سبعة أحرف قادرة على تفتيت بقاياك.. قادرة على منحك الشتات والأرق والهلع من هول تلك الكلمة..

فلم يكن لفظًا.. وإنما فوهة بركان أخرج معه جميع الحمم النارية الدفينة التي رقدت منذ عصور ولم تستيقظ إلا فى تلك اللحظة.

فقد غرقت بكلمة.. فماذا لو أتم عبارة كاملة على مسامعي؟.

سؤال..

هل الأحرف قادرة على القتل أحيانًا؟ أم نحن نسمح لها باغتيالنا وبمحض إرادتنا؟.

أم نحن نعشق دومًا أن نمثل دور الضحية فور سماع أعذب الكلمات من شفاه لم نعتدها من قبل؟.

فكيف لكلمة "**أشتاقك**" أو بلهجة العامة "**وحشتينى**" أن تسرقك وكأنها لص نصب شباكه حولك بينما تستغرق أنت في نوم عميق منشغلاً بموتتك المؤقتة، ليقتحم وريدك لفظ لا يعرف للشفقة أو الرحمة طريقًا؟.

كيف امتلكت تلك الشفاه القدرة - التي تبدو بريئة جدًا – أن تنقض على دمك لمجرد الحديث لا على مسامعك؟.

ولا أتذكر أي حديث تكلمنا، ولا في أي الموضوعات تحدثنا. كل ما أتذكره كل هذا الدسم الذي حملته سبعة أحرف من شفتيه، وكأنها تتعمد إراقة دمى في مشهد عظيم..

(**حوار صغير مع كرم**).

وأنت مش وحشتني...

يرفع رأسه متفاخرا ضاحكا مغرورا...عارف أني لو في كلمة أكتر من وحشتني كنتي قلتيها..مش شايف انك مغرور زيادة عن اللزوم؟.

يرد في هدوء مثير...وليه ما تقوليش إنك انتى السبب في غروري ده.

ازاى؟؟؟.

هل وجودك في حياتي مش سبب كفاية أني أتغر !.

وجودك مش سبب كفاية أني أحس أني قادر على الطيران..بس الطيران جواكي هو أمتع رحلة لسه ما عملتهاش..

وهل هناك كلمات دسمة؟.

سيدهشك الأمر كثيرًا حينما تتحدث إلى أحدهم، فتكتشف بنهاية حديثك معه أنه قد زاد وزنك الاضطرابي في وقت ضاع فيه اتزانك العاطفي.

تشعر وكأنك مثقل..

ولكن هذه المرة.. أنت مثقل بالحب.

في حالة دوار عجيبة لم تحدث لى من قبل.. تروقني جدًا.

وهنا يقطع الدوار مكالمة من صديق عزيز على قلبي...

أستأذنك أرد على الموبايل 000.

طبعا اتفضلي.

آلوو...عمران إزيك؟.

تمام يا عنان..انتى فين لازم أشوفك ضروري.

ابتسامة يشوبها الشجن.. أكيد في كارثة تانية...قلقتني.

لا لا العادي..بس محتاج أتكلم معاكي..ما انتي مفيش غيرك بيطلعني من اللى أنا فيه.. شوفي فاضية امتى وكلمينى في أسرع وقت أرجوكي.

حاضر أكيد.. سلام.

تلاحقني عين كرم في فضول.. هو أنا ممكن أعرف مين عمران؟.

آه..ده صديق قديم من أيام الكلية..بس حد عزيز عليا جدا.. بيثق في رجاحة عقلي زي ما بيقول وبيعتبرني أخته اللي أنجبتها له الأيام..

و في خبث أنثوي جميل له وقع السعادة بقلوب الرجال....هااا... كنت بتقول لي أيه بقى؟.



جرم محبب الي النفس

كاذبة.. فقد حدث لي ذلك النوع من الدوار، ولكنه كان دوارًا كاذبًا منذ عامين.

عندما كنت أتوهم بالحب أيضًا تجاه أحدهم..

فهل أنا الآن أتوهم أيضًا أمام (**كرم**)؟.

ولكن.. لقد أصبحت أخشى الجميع..

أخشى الأشخاص..

يبدو لي الأشخاص كفقاعات الهواء، تتطاير وتسقط حتمًا من نظرك في لحظة لا تعلمها.

فقد تكون غارقًا في حب أحدهم، وكأنك تعشق لأول مرة..

لتكتشف المقولة المؤلمة (**حب من طرف واحد**).

تضحك على نفسك لتقوم بدور العاشق والمعشوق في آن واحد.

يروق لك هذا الإحساس جدًا، وتغار عليه بشدة وتشتعل من أجله.

وتنشب حرب في داخلك... في داخلك أنت فقط.

تنزف أيضًا وحدك..

عمران - صديقي هذا الذي أتممت مكالمتي معه الآن – شاب تخطى الثلاثين من عمره، ولكني أراه دومًا طفلا في الخامسة.. دائم المزاح والبكاء بسبب وبدون..

ومع ذلك، كنت أرى ذلك الطفل يلهو بأرجوحة قلبي بمفرده.

نعم كان يلهو.. لم يكن خطأه.. بل كانت تلك جريمتي..

فقد يعنى أحدهم بداخلك شيئًا عظيمًا، وأنت بالنسبة له ليس إلا كجدار يتكئ عليه.

سمحت له يلهو ويتأرجح بداخلي.. مبعثرًا تلك الأشياء الثمينة في وقت ما. فكان بمقدوره أن يتصيد الفرح بداخلي ليقذف بي الجرح دون أن يشعر.

أحمق.. من يترك شخصًا يلهو بداخله، هراء أن تترك أحدهم يترنح بقلبك دون أي قوانين تحكم اللعبة؛ اللعبة لم تكن أنا على الإطلاق.. فأنا لم أسمح يومًا أن أكون دمية بيد أحدهم، ولكن اللعبة كانت تسكنني حينما فتش ذلك الشاب الصبي بداخلي.. عمران.

عمران كان طويل القامة ببشرة خمرية إلى الحد الذي يجعلك تعتقد أنه انعكاس لمساء هادئ يحيط به الشغب، فقد كان مشاغبًا له القدرة على إسكاتي في أشد لحظات الصخب والتعب..

وفى أقوى لحظات جنوني أيضًا..

كان عاقلاً.. به مس من الجنون..

مثاليًا.. ولعوبًا في آن واحد.

ساكنًا.. وثائرًا.

كان اكتمالاً لما ينقصني..

وقع في يوم ما فريسة للحب..

كان يظن أنه يعيش أروع الحكايا.. متشبثًا بالأمل في النجاة من عزلته ووحدته.

كنت أظنه يومًا رجل إنقاذ لي.. ولكنني قمت بدور الاستغاثة العاجلة له أينما تألم، لم أكن أعرف أنني في حلبة مصارعة للحياة.. ربما كنت أتلقى الضربات بدلاً منه، فكلما أوشك على السقوط.. سارع في لقاءي مجددًا لأنقذه من الغرق.

لا أنكر أنني أحببته يومًا، وعشت قصتي في نفسي فقط.

كنت أسرد الأيام فيها..

ربما كنت أسوأ شخص تعرفه وقتها..

ذات يوم في حديث بيننا، فاجأني بسؤاله.

بتؤمني بالحب؟.

مستنكرة السؤال.

الحب هو الإيمان نفسه.

يعتدل في جلسته ليرد فى كبر.

بس من غير فلسفة، إنتى حبيتي قبل كده؟.

ضحكة ساخرة بسيطة.

أنا بحب دايمًا.. قبل كده وبعد كده وبينهم كمان.

يا ساتر.. إيه ده؟ ده انتى رومانسية بقى وأنا معرفش.

بلهفة غريبة أقترب من مسامعه.. وبصوت منخفض..

حبيت أنت قبل كده؟.

بلؤم معتاد.. وبشرقية رجل لا يؤمن بالحب.

مرة.. كانت مرة وتبنا إلى الله وندمنا.

يبقى ما حبيتش ف حياتك أصلاً.

ضاحكًا مستهزئًا.

لا يا شيخة.. عشان قلت ندمنا؟.

أرتشف رشفة قهوة، وكأني أنشغل لأعد له ردًا يليق بسؤاله.

لأ.. عشان قلت (**كانت**).. والحب مفيهوش أزمنة.. ولا كان ولا يكون.. الحب استمرارية حتى لو فارقت الإنسان اللى بتحبه أو فارقك.. محدش بيحب وبيتكلم بالأسى عن حد حبه فى يوم من الأيام.

يقاطعني في عجالة محاولاً تشتيت فكرى.

مش يمكن مطعون لدرجة تخليكي تبطلي تتفلسفي عليا كالعادة؟.

حتى لو كنت مطعون أو مغدور بيك أو مدبوح.. مجرد ما بييجى في بالك للحظة إنسان حبيته، هتحس لا إراديًا وأنت بتتكلم عنه بأن عنيك لمعت لوحدها.. فيها بريق بتحاول تداريه.. نغمة صوتك بتتغير للأحسن أو للأسوأ.. المهم انه يتغير، وده ما حصلش قدامي وانت بتتكلم.

لو حبيت كان صاحبك مسحة حزن أو شيء من الحنين في كلامك.. أنت ما حبيتش، أنت أتوهمت إنك حبيت.

لحظات من السكون بيننا، وكأنه يعيد على نفسه ما وصفته فيه ليتأكد من كلامي، ولكنه كالعادة لن يعترف بصدق ما قلته.. سيكابر كما عودني على ذلك.

يرشف رشفة غرور ليستعيد فحولة الحوار إلى اتزانه البطولي، وكأنه في معركة معي وعليه أن ينتصر في آخرها.

مقاطعًا ذلك السكون، بل وكأنه أوقف الشارع كله عن الكلام.

هو أنا لو قلت لك بحبك.. هتصدقي؟.

اضطراب مؤكد، ولكن يصاحبه ثبات أنثى تثق في نفسها جيدًا.

لأ.. تعرف ليه؟ لأنك جايلى مهزوم.. جواك بقايا من الوجع.. مهزوم أيوة.. والحب ميعرفش يتوغل جوه قلب عايش هزيمته بمنتهى الصدق.

كان يود مقاطعتي، ولكني قاطعته قبل أن يقسم لي كذبًا.

الحب محتاج لقلب شجاع.

يقاطعني ساخرًا:

شجاعة؟ شجاعة إيه؟ هو لو كان عندنا شجاعة كنا حبينا؟ إحنا عشان (**جبنا**) بنحب.. لو عندنا شوية عقل يا عنان مكناش سبناكو تبهدلونا كده.. إنتوا...

ضحكة مرتفعة يسودها الغطرسة.

مش يمكن أنت اللى بتفشل في اختيار الشخص اللى بتحبه؟ ما تحكمش علينا كلنا بكده.

يرتشف بعضًا من القهوة أمامي بنظرات تغنى عن الكلام.

ليه؟ هو الحب فيه اختياري وإجباري؟.

بسرور أجيبه.

مفيش ده.. بس فيه التقاء للقلب اللى أنت محتاج انه يصونك ويقدّر وجودك معاه.

ينظر حوله باحثًا عن رد يليق بكلامي.

ما قلنا بلاش فلسفة وخليكي واقعية.. هو أنا بتكلم عن ملايكة في الجنة؟.

أنا بقصد اختيارك للبشر المزيفين.. المزيفين بجدارة.. على فكرة أنا معاك إن الناس المخلصة بقى وجودهم نادر.. لكن لسه فيه ناس ما جربناش نخليهم في حياتنا.. احتفظنا بالناس الغلط.

يعنى انا لما احتفظت بيكي يبقى احتفظت بناس غلط؟.

ما تخلطش الأمور.. أنا ليك صديقة روح مش أكتر.

هو انتى برضه بتلفي وتدوري في نفس الزاوية بالنسبة لحكايتي مع منال؟ يعنى عاوزة تفهميني إنها كانت غلطتي أو اختياري كان غلط من الأول؟.

طب ما تيجى كده نحسبها بالعقل ونركن القلب اللى مودينا في داهية ده ونعمل له بريك ونعرف ليه أنت بتفشل في اختيار الناس الصح.

يعلو صوت ضحكته اللعوبة مرة أخرى، وبإيماءة غرور الرجال.

بذمتك انتى تعرفى تفرقى بين الناس الصح اللى مبنعرفش نتكعبل فيهم والناس الغلط اللى اتكتبوا علينا؟.

أتعمد رفع نغمة صوتى فى ضجر هادئ.

ما أحنا قلنا نركن العواطف ونتكلم بالمنطق.

هو ساخرًا.

اتفضلي يا دكتورة.. شخصي حالة المريض اللى قدامك.

نصف ابتسامة شبه ثابتة.

بص يا سيدي.. هقولك كام نقطة كده حطهم حلقة في ودانك.. أكتب ورايا.

هو مقاطعًا.

لالالا.. الموضوع شكله جد.. نبطل هزار بقى.

أنا بغضب.

أنت بتفشل في اختيار الناس الصح.

أولاً : لأن الناس الصح ابتدوا يبعدوا أو ينعزلوا عمومًا عن الناس الفترة دي.. بدءوا يتجنبوا التعامل مع الغير تمامًا.. (**لحظة تأمل تعقب تلك الجملة**).. معذورين لأنهم فقدوا المصداقية في اللى حواليهم.

هو ساخرًا مرة أخرى.

وثانيًا يا دكتورة.

أنت أتعودت تغفر للناس الغلط وتفوت موقف ورا التانى.. بتتسامح كتير وتتحمل فوق طاقتك وهما بيلعبوا معاك لعبة اللا مبالاة أو التجاهل عن عمد..هما مش أغبيا برضه.

أكيد يا ستى فيه ثالثًا طبعًا.

ثالثًا : بتكون أتعودت تضحى وتيجى على نفسك في سبيل إرضاء الشخص الغلط وهو بكل أسف أتعود منك العطاء.. فغصبن عنك خليته في خانة الأنانية بدون ما تقصد ده.

هو (**محاولاً الإنصات بشكل جيد، وكأنه أخيرًا راق له الحديث**).

ورابعًا يا دكتور.

تنازلات كتير منك طمعت فيك الناس الغلط اللى دايمًا بيكونوا فى حالة انتظار تنازلاتك عمال على بطال.. خلاص بقى بالنسبة لهم حق مكتسب.. وطبيعى جدًا الناس الصح ما بتطمعش ف أى تنازلات.. عارف ليه؟.

تنهيدة ساخرة مرتوية بالخبث.

اللهم طولك يا روح.. ليه؟.

لأنهم بيكونوا ولاد أصول.. كبرياءهم وتربيتهم بتمنعهم إنهم يفكروا يستنزفوك.. وحط ألف خط تحت كلمة يستنزفوك.

يقاطعنى بنظرة جمعت كافة التساؤلات الذكورية عن كلمة (**استنزاف**).. وأحببت فى هذه اللحظة أن أشبع فضوله اللئيم.

الاستنزاف أنت بتسمح بيه من البداية مع الشخص الغلط.. أنت اللى بتفرش له براءتك على طبق من ماس وهو مشاعره من تراب.. كل وظيفته في حياتك إنه يطفي الماس اللى جواك.. حتى براءتك ما سلمتش منه.. تصدق إن طيبتك بتفقدها بمجرد أول طعنة ف ضهرك منه.. وأنت مستسلم للأسف باسم الحب.

ينتفض فى ذعر من هول الاتهامات التي سقطت عليه كالصاعقة وكأننى كشفت حقيقته أمام نفسه.

لالالالالا إستنى هنا.. هو أنا مغفل للدرجة دى عشان يحصل لي كل ده وانا مستسلم؟ ما أنا أروح أموت أحسن ولا اسيبش واحدة تعمل فيا ده كله.. فيه إيه يا ستي دانا أعجبك أوى.. لسه ما اتخلقش اللى يعمل فيا كده.

يرتفع صوت ضحكتي دون عمد.

ده أنت ممكن يتعمل فيك أكتر من كده.

مقاطعًا لي.

ليه يا بنتي؟ عليا بإيه ده كله؟ بلا حب بلا وجع دماغ.

إستني بس على رزقك.. طيبتك الزيادة دي أحيانًا بتكون سبب في بلاءك.. ثقتك اللى بترميها على أي حد بمجرد إنه فتح لك شبابيكه.

أعتدل في جلوسي، مستكملة تشخيصي له كما يدعى هو.

خلى بالك.. الشبابيك غير البيبان على فكرة.

وإيه الفرق يا دكتورة؟.

نظرات جادة جدًا تليق بجدية الحديث المقبل.

يعنى ممكن تثق في حد ويفضل بالنسبة لك كتاب مقفول.. غامض.. وقتها بتحس بالندم إنك منحته الثقة دي بمنتهى السهولة.

يقترب قليلاً.

والحل.. أقصد العلاج يا دكتورة؟ الروشتة الله يبارك لك.

الحل سهل.. بس هتاخد العلاج كله في مواعيده ولا يومين وهتسيبه؟.

بصى لو مش هيتعب لي القولون العصبي وهعرف آكل عادى هستمر عليه.

وضحكة أخرى دسمة فيها لذة الانتصار على شخصيته، فقد تعود أن ينتصر علي فى كل معركة وعليه الآن أن يعلن هزيمته بالضربة القاضية.

اكتب عندك.. توقع أى شيء من أى حد.. بطل تنازلات ع الفاضى والمليان.. ما تبقاش عميق جدًا في علاقاتك.. يا سيدى ما تتوغلش جوه

القلوب.. فيه ناس كفاية عليهم كلمة (**صباح الخير**) وحلو أوى على كده.

هو (**مستمتعًا بتلك الروشتة**).

مممممم.

حدد بالظبط من البداية أنت هدفك إيه من أي علاقة بتدخلها.. متجربش كتير لأن كتر التجارب هتخسرك حاجات عايشة جواك وليها قيمة ما تتعوضش، لأنك لو خسرتها مش هيبقى قدامك غير البكاء على اللبن المسكوب.. بس كده.. خلصت الروشتة.. ما اعتقدش إنها صعبة.

هو (**محاولاً التقاط أنفاسه في هدوء، ممسكًا سيف الحديث**).

والعلاج ده مواعيده إيه؟ قبل الأكل واللا بعد الرجوع من الجيم؟.

ويضحك ساخرًا كالمعتاد.

أرد باستهزاء جميل.

لأ.. بعد رجوعك من الساحل يا خفيف.. أهو هزارك ده دليل على وجعك الكبير.

ينظر متعجبًا.

نعم.. خير.. إتفضلى.. ما فهمتش.

أنت متعرفش إن أكتر الناس ضحكًا هم أكثرهم وجعًا.. أكثرهم صمتًا وهروبًا.. أكثرهم سلامًا وتضحية.. وأسرعهم بكاء.. فهم يخفون الشجن في ثوب الضحكة.

هو (**متوهجًا كطفل أهداه أحدهم لعبة كان يشتهيها منذ زمن**).

فيلسوفة يا ناس.

مش مسألة فلسفة قد ما هي واقع بنعيشه بكل ما فيه من تعسف.

هو (**موضحًا**).

أنا اكتشفت فيكى حاجة النهاردة يا عنان.. بس قلبي كان حاسس إنها موجودة فيكى من زمان.

أتساءل في عجالة من فرط فضولي.

يا ترى حاجة حلوة واللا وحشة؟.

مستكملاً صراحته.

بصراحة حاجة وحشة.. يمكن حاجة وحشة في زمننا ده.. أنتي بتركزى زيادة عن اللزوم.. بتفكري كتير.. بتشغلي نفسك بتفاصيل بتوجع رغم تفاهتها، وتنهيدات عالية حاولت إخفاءها في ضجر وكأن هذا الملعون قد وضع ألواحًا من الثلج في حنجرتي، وكأنه مد يده في شهيقي فأخذ ما تبقى من أنفاس بمواجهته لحقيقة أنا أعلمها جيدًا ولكن أريد تجاهلها أو الهروب منها.

أريد أن أنسى أنني أشغل عقلي كثيرًا في إرهاق لا ينتهي، وكأنني أريده ألا ينتهي.

عمران كان له القدرة على بتر لحظة الثبات بداخلي، حيث كان متفوقًا على نفسه في هزيمة هدوئي أمامه، يشعل الضجر ولو كان مختبئًا في جحر نملة.. يستثير غضبى دون جهد.

كنت أراه بعين الرحمة وهو يراني بعين القسوة.

نعم كنت أراه قاسيًا.. لكن رغم ذلك كنت لا أرى أحدًا غيره يملك تلك الطفولة ولا أسمع حديثًا يعلو أحاديثه لأتذكر قلبًا أحببته رغمًا عني.

كقلب ذلك الطفل المشاغب.. كأم ترعى ابنها العاق.

مهنتي كمحررة صحفية كانت سببًا في طرح الكثير من الموضوعات بيننا. كنت عاشقة للنقاشات.. حتى غير المثمرة منها، لاسيما الأحاديث التي تخص الرجل والمرأة، ومن له القدرة فيهما على تقمص دور الضحية، ومن يليق به دور الجلاد، ومن ما زال يلبس ثوب المتهم في قفص الدنيا.

هذا القفص ليس له قيود سوى أنفسنا..

الأغلال لم تكن بأيدينا.. وإنما في أرواحنا.

في خضم الأحداث التي تمر بنا ومجموع الأشخاص الذين نتعلم من مرورهم فوق أجسادنا المنهكة الكثير والكثير.

لم يكن عمران صديقًا.. وإنما كان حياة.

له المكانة الخاصة التي صنعتها بداخلي..

حياة رتبت لها الغرف، ولكل غرفة رواية.

وعندما واجهني بكثرة إرهاقي الدائم لعقلي لم أندهش، لأنه كان يعرفني أكثر من نفسي مهما ادعيت العكس.

تعمدت ألا أشعر بمرارة البكاء المفعم بالضجيج على شفاه أنثى يقودها الحياء، وتبتلى بخجل يمنعها من أن تخبره يومًا بالحنين إلى عناق طويل وإلى قرب أكثر من ذلك لينتهي دور الصديق ويبدأ دور العاشق،

ولكنها تكتفي بوجوده كصديق للروح لا أكثر.

وفى ثبات - أو ادعاء الثبات –.

عندك حق، أنا بفكر كتير جدًا.. ما بنامش تقريبًا عشان العقل عندي ما بياخدش أجازة من الزمن أو مش عايز يسيب القلب يمسك الدفة لوحده، لأن القلب لوحده لو اشتغل من غير عقل حيخسرك كتير.

في هذه اللحظة – وكأنني ألقيت حجارة في وجهه – شعرت فجأة أنه يريد أن يستأذن لينهى حديثنا عند هذا الحد، أو أن الزمن قد توقف عند هذه اللحظة.

حديثنا انتهى.. ولكن جدالنا لم ينته بعد.

وانصرفت حينها في هدوء بحجة تأخيري عن العمل، وودعني هو كعادته بجملته الشهيرة.

أشوفك بخير يا فليسوف الحياة.

ففى كل مرة يخرج فيها عمران من علاقاته العاطفية غير المكتملة، يستدعيني كإسعاف له لأقوم بإنقاذ ما يمكن إنقاذه في نفسه وقلبه، ليلقى بأوجاعه في صدري فأقوم بإطفاء نيرانه التي هي على هيئة أشخاص بالنسبة له، فكل مرة أجده يخسر جزءًا من طفولته بخروجه مصدومًا من تجربة فاشلة، والحق يقال.. أنك تتمزق إربًا في كلٍ مرة تخرج فيها من خيبة وخذلان. تفقد جزءًا من طفولتك، وتفقد قسطًا كبيرًا من عفويتك وطيبتك لتخلع ثوب الطفولة وتجد نفسك مرتديًا ثوب السذاجة وتكتشف أنك قد بلغت من العمر عتيًا في ممارسة دور العاشق الأحمق. وفى الواقع، أن بمرور السنوات ستتغير نفسيًا، لن تبال إذا غادر أحدهم حياتك.. لن

تبذل أي جهد في أي علاقة.. ستتصرف بعقلانية ولن تنصدم في شيء..

"نحن لا نحيا بوجود أحد، ولا نموت بفراقه، ولا ننهزم بوعد، ولا ننتصر بوصل، ولا نعيش بحضور، ولا نغتال بغياب".

فمن أراد الرحيل، فجميع أبوابنا مشرعة أمامه.

فمهما فعلت للبشر فأنت مقصر، ولو أشعلت أصابعك لهم نورًا ونارًا.

ولو بنيت لهم فوق تلال الحب تلالاً، فما زلت في نظرهم مخطئ ولو أفنيت عمرك لهم. سيصدمونك لا محالة، فبعض الأشخاص ليسوا فقط مضرين بصحة القلب، وإنما بصحة الذهن والروح والجسد أيضًا.

أحيانًا هم سبب في انتزاع الأمان من داخلنا، وإذا انتزع الأمان.. فلا أمان ولا أمانة بداخل أي علاقة. وهذا ما وجده عمران في حكاياته العقيمة التي تعلمت منها الكثير.



فصاحة دمية

وعدت فيما بعد لجلستى العبقرية المثقلة بالحب مع كرم – الذى كان يشبه عمران في الإنصات –.

منصت جيد، لكن ليس للكلام.. وإنما للسكوت.

كان يتقن الاختطاف..

فبعد أن ألقى على مسامعي بكلمة (**وحشتينى**) لم يسعني سوى النظر إلى الأرض، وكأنني في حالة غرق.. شتات محبب إلى قلبي، أشعر وكأنني حلواه التي صنعها بيديه، فهو قادر على إحياء تلك الدمية الساكنة التي فقدت الحياة بداخلي من قبل.

لم يشغلني أن أسأله "**من أين لك بهذه الجرأة على العشق لتقوم باختطافي إلى عالمك الذى طالما رفضت الدخول فيه أو تجربته على الأقل؟**".

كيف لك بتلك "**الميتة**"؟ وهل ثمة ميتة أروع !!!!!.

بلى.. ثمة ميتة أبهى وأكبر !!!!!.

هي الميتة على يد ذلك الرجل غريب الأطوار.. تارة تراه رائع المبسم حين يشدو بالحب، وتارة غاضبًا ناقمًا عندما يكف عن الحديث في لحظة، ويثير فضولي لأفاجئه بسؤالي..

- فيه حاجة شغلاك أو خنقاك جدًا؟

- شغلاني بس مش خنقاني

- يا ترى إيه هي؟

ويتبعني بصمت محلى بالشغف.

- آسفة لو فضولي ضايقك

متوسمًا بأدب.

- أبدًا.. بالعكس أنا محتاج أفضفض مع حد أثق فيه

وهنا اتسعت عيناي من فرط الدهشة.

- تثق فيا !!!!! هو أنت واثق فيا وإحنا لسه عارفين بعض من فترة بسيطة؟

يقاطعني في رقة.

- عنان.. أنا مش محتاج سنين عشان أعرفك فيهم. أنا اكتشفت إن اللى يتكلم معاكى ٣ دقايق بس قادر يسلمك عمر كامل وهو واثق إنك تستاهليه.. قادر يسلمك مفاتيح دنيته وهو عارف إنك جنة من الأمان

أستوقفه لغرابة سرده عن الثقة.

ـ يسلمنى مفتاح؟!!! وكمان جنة من الأمان؟!!!

ـ إذا مكنتيش أنتي واحة الأمان دى.. مين هتكون؟ معرفش ليه بحس معاكى براحة نفسية وانا حتى معرفش إنتى مين ولا إيه أحلامك ولا نظرتك للحياة... ولا حتى لما ببص لك ليه بحس إنى كنت تايه فى بلاد معرفهاش ومعاكى بحس إني رجعت لبيتى وأهلى.

وينفرط الهدوء من حولنا ليحل محله الارتباك.

ـ يااااه كل ده !!! مش كتير عليا أوى الوصف ده أو ممكن مكونش أستاهله؟؟؟

ـ حقيقى أنا كنت فعلاً محتاج حد مريح ليا نفسيا.. أرتاح له من غير ما ابذل أي جهد في معرفته.. مجرد سكوته نجاة.. فما بالك لو أتكلم.. عنان إحنا بقينا في زمن بنخاف فيه من مجرد التعامل مع الأغراب

أقاطعه لوهلة.

ـ متكملش لأن الكلام مفيش أكتر منه ولا حد شبع كلام بعدد أيام عمره وشعر راسه قدي.. أنا يا سيدي محررة صحفية زي ما أنت عارف.. شغلتي الكلام.. مش هضحك عليك وأقولك إني مش مبسوطة بالكلام الحلو رغم انه بيرعبني أكتر من الكلام الوحش

وتبدل مزاجى فى لحظة.. وكأنه بدلاً من أن أشعر أنه يمدحني، شعرت أنه يذمني.

هل أصبح القلب قاسيًا لدرجة أنه لم أعد أصدق كلامًا ناعمًا أو فعلاً متوجًا بالمحبة...

أم أن كثرة الصدمات وخيبات الأشخاص من حولي وتجاربهم المميتة قد صفعتنى على قلبي بضربات متلاحقة تميت رغبة الاشتياق لقصة حب حتى لو كان رونقها يعزف جمالاً وصدقًا ولهفة...

أبدًا والله.. ما كان هذا القلب يومًا قاسيًا ولا ظالمًا...

بل أرهقته معارك الدنيا وخانته الظنون وخذلته الوجوه وبعثرته الطرق....

وفى الواقع.. الفوضى التي بداخلك لن تنتهي إلا بمحض إرادتك حين تؤمن بأن لنفسك عليك حقًا ولقلبك عليك حقًا عندما تتوقف عن ممارسة الحزن وألا تنتمي لمن لا يستحقك، وكأنني أصبحت إنسانة أخرى في تلك اللحظات، فحينما سمعت تلك الكلمات الرقيقة العذبة، كانت كافية لإيقاد شعلة الحب التي أبقيتها منطفئة تغط في نوم عميق طويل الأمد.

في لحظة صرت غريبة عنى بشكل مخيف، وأردت لو أشن هجومًا لاذعًا ردًا على كلامه الذى يتلحفه الفرح لسماع كلمات عذبة أخرى من شفاه رجل بحجم غرابته ووسامته أيضًا.

شعرت أنه يريد الاقتراب من قلبي ولو قليلاً.. والقلب من فرط الأهوال التي تحكى حوله من موت السعادة بأعين الجميع يرفض أن

يطرق بابه أحد مهما كانت إغراءات ذلك الاشتياق أو تلك الحكاية المرصعة بالماس تحت أرض لا تعلم عنها شيئًا سوى أنه هناك ماسة لا أكثر..

ولكنك لم تكتشف بعد ربيع تلك الحكاية أو خريفها.

يقاطع حديثي لنفسي متسائلا.

- طيب.. أبطل كلام واللا أكمل؟

سكوت طويل.. وأود لو انشقت الأرض لتبتلعني.

لأنه في ذلك الحين الذى أريد فيه أن يكمل حديثه العذب، لا أريد أن يتفوه بحرف حتى ولو كان أنيقًا.

نظرات دهشة تأكل ملامحه، وكأنه رأى قسوة ترتسم على ملامحي ولم يكن ليعلم عنها أي شيء مسبقًا.

وجهي العابس لم يعرفه حتى الآن.. إنه لا يعرفني كما يجب.

والحقيقة التي لا أنكرها أبدًا مهما أسرنى أى قلب أننى أنثى؛ تكره الحلوى التي تعج بالسكر.

لا أريد مزيدًا من الكلام المنمق المليء بالإثارة الشعورية، لأنني أؤمن دائمًا أن المحب الحق تجده في فعله لا في حرفه.

هو لا يعرفني.. لذلك كان يكثر من المديح.

ألتمس له عذرًا..

فأنا لا أفضل المديح من شخص لم يجالسني سوى مرة أو مرتين..

وتلك المرة الواحدة ليست كافية ليسمعني كلامًا ناعمًا..

يا لها من فوضى.. بل قسوة.

لماذا أصبحت بهذا الشكل أمامه؟. فماذا سيقول عنى الآن؟.

ماذا يدور برأسه وقد أتاني واثقًا في رجاحة عقلي واتساع قلبي؟.

يبدو أنه قد جاءني راجيًا الإنصات لألمه.

لماذا قلت ألم ولم أذكر أنه جاءني؛ ليطربني كغيره من الرجال الذين يطربون مسامع النساء بأكذب الكلمات؟.

ولكن أشعر بأن هذا الرجل به ألم عميق يريد أن يخبرني به..

فالألم يختار رجاله بعناية فائقة..

الألم عندما يتسنى له الفرصة ليتشبث بوتين قلبك..

فهو لا يراعى حرمة النفس ولا حرمة الإحساس..

فهو ينظم حركة تصرفاتك تجاهك أولاً ثم الآخرين فيما بعد..

فهو ليس بحاجة ليقتحمك.. وإنما هو يتربص بك،فإما أن تجد له شفاء أو يترك لك شقاء مدى الحياة.. الصدمات لا تترك لك مجالاً للهرب.. فهي بارعة في اللحاق بك عند أول طريق تسير فيه وحيدًا..

فوحدك تتمزق في صمت.. تفعل بك ما يفعله المغتصبون بفتاة عذراء بريئة تمشى وحدها في ظلمة الليل ولا تأبه لوحشة الظلام من حولها.

فالصدمات قد تفقدك الشعور بعذرية الأمان.

تنسيك الحلم والخيال الذى نصبته بإرادتك.. وتنفض بك إلى واقع لا يرحم ولا يعرف للرحمة أي مسمى..

وأستكمل حديثي رغم نظرات الدهشة على وجهه.

همهمات على شفته.. مرددًا اسمي في خوف وكأنه يريد أن يخفض صوت حديثه لكيلا أصيبه بكلمات جارحة أخرى عما يخص موضوع الثقة.

- كمل بس من غير لا مدح ولا تذويق للكلام.
- أنا لا مدحت ولا جملت على فكرة.. أنا بحاول انقل لك شعوري من ناحيتك.. آسف أنا اقصد إحساسي بالراحة النفسية عشان اكون دقيق معاكى فى الكلام طالما شغلتك الكلام.. راحة بحس بيها وأنا معاكى مقصدش خالص إنى أنافق أو ألون الكلام أو أخليه زى ما بتقولوا كده كلام معسول.. عمومًا أنا لازم أمشى حالاً.. عندي معاد مع دكتور زميل ليا وأنا قاصد أقول زميل مش صديق
- ليه
- عشان من النهاردة إنتى الوحيدة في الدنيا اللي تستاهلي كلمة صديق والباقي مجرد زملاء، وأصحاب مش أكتر من كده.. مش سهل الواحد يلاقى اللي شبهك في الدنيا كتير.. يا ترى ببالغ كده يا عنان؟

وأرد فى عجالة ودون تفكير.

ـ جدًا جدًا لأنى لسه معرفش كنت هتفضفض فى إيه ومكملتش

نصف ابتسامة تبدو لى خبيثة إلى حد ما.

ـ ما تستعجليش.. هفضفض لك واحكيلك بس ده إذا سمحتيلى إني أشوفك مرة كمان.. يا ترى تسمحيلى واللا خلاص أنا هخرج من حساباتك؟ واضح انك ما بتثقيش فى الناس بسهولة وده مش عيب ده ميزة على فكرة لأن الأيام هي اللي وقعتك في الشك ده تجاه الناس

ذبذبة شعور قلب وصراع عقل بين الرد بالقبول أو الرفض.

خوف وارتباك في آن واحد كادا أن يفتكا بى.

وعجزت عن الرد للحظة.

هو (**محاولاً إنقاذي من الارتباك**).

ـ خلاص اعتبرينى حد عابر بحياتك ملقاش حد ينجيه من وجعه غيرك وشوفى بقى هصعب عليكى وهتقبلى تسمعينى واللا لأ.. مش هطلب منك أشوفك تانى غير لما انتى تسمحيلى بكده عن طيب خاطر ورغبة وقناعة منك.

أحرجتني عقلانيته، وأناقة فكره جعلتنى فى كامل حيرتى أكثر فأكثر.. ويحاول بث روح الأمان فى المكان دون أن يظهر ذلك.

ـ عنان.. على فكرة أنا بنى آدم عادى جدًا والله شاف حد مرة واحدة وارتاح له.. بتحصل يعنى.. لا محتاج أكذب

ولا أتفلسف عليكي ولا أزين الكلام ولا أراوغ.. يا تقبلينى ببساطتي، يا ترفضيني من البداية.. ليكى كامل حريتك في ده بدون أي ضغط منى أو أى حد.. إنتى إنسانة واعية مش مراهقة تقدري تحددي اللى بيضحك عليكى، واللي فعلاً بيرتاح لك ومحتاج لك في حياته بجد..

عجبًا.. هذا الرجل لديه عبقرية في إسكات اشتعالي نحو زيف الرجال.

حتى وإن تصنعوا المحبة في زورق من الوفاء.

له قدرة على إطفاء نيران القلق.

وعجيب أمري.. فما من أحد استطاع أن يخمد نيران القلق بداخلي من قبل.

ما من أحد قادر على إطفاء نيرانك وإسكات ضجيجك إلا وكان يمثل لك شيئًا من الأهمية بداخلك. لا أحد يقدر على تهدئتك إلا من كان يعرفك جيدًا وتوغل في عمق روحك باحتراف، وهذا الشخص لم يعرفني ولن يعرفني لأنني لن أجزم أنني لن أتيح له فرصة معرفتي يومًا ما. فقد أقسمت ألا أترك أحدًا يعبث بمملكة روحي، ففاجعة الخيبات التي شربتها من تجارب مَن حولي أشبعتني نضجًا إلى حد التوقف عن الاستمرارية في أي علاقة تحمل الشغف في طياتها مهما زاد رونقها الظاهري.

ولن أتركه يزيدني شغفًا أكثر من ذلك..

فالشغف وحده قادر على القتل.. يأكل في الأحشاء كما تفعل الخيبات تمامًا. أو هو أول خطوات الخيبة..

فإن أصبحت أكثر شغفًا واهتمامًا إلى حد كبير.. ستكون أكثر عرضة للخزي، وكلما تعلق قلبك بأحدهم.. كلما انتصر عليك. كلما زادك تعلقًا وشوقًا له.. كلما حكم عليك بالبقاء أسيرًا لبقائه، وعندما تصل إلى الأسر فلا مفر من الألم، فالحب أشد الآلام لذة.. يستمتع وهو يبعثرنا بعشوائية.. يحركنا بين أصابعه كعرائس الماريونيت. فهو يعرف جيدًا كيف ومتى وأين يغتالك..

فكثيرًا ما أخذني شغفي إلى الاقتراب من الآخرين والتعرف على نياتهم من حولي..

والعبقرية أنك تفهم وتصمت ؛ تلاحظ ولا تعلق ؛ جميل هو إحساسك بإكتشاف من حولك وفهمك العميق لنياتهم اجمعين..

ولكن هل تعلم يا صديقي أن التقرب أحيانًا يدفعك إلى الخراب؟.

فالأشخاص لم يعودوا كما كانوا من قبل..أو كما يقول البعض "**اللى يعيش ياما يشوف**".

فنحن لم نعش ولم نر فحسب.. ولكن هم الذين عاشوا فينا..

التقرب من بعض الناس هو بمثابة إهدار للعمر وليس إثراء له..

وكأنك تجرى خلف سراب من الأوهام..

لا تعرف كيف ولماذا يدفعك هذا الشخص إلى معرفته والتقرب منه..

فليس من الصحيح - وليس من الجيد أيضًا - حب معرفة الناس والتعمق فيهم..

فقد تصل إلى النضج الذى يجعلك ترفض التورط بعلاقة مؤقتة أو صداقة باردة أو جدال أحمق أو التعمق بالزائفين.. فنحن نكتمل بمرور الأشخاص.. لا بمرور الأيام..

فقد يضرك فضولك في يوم ما..

الفضول فخ.. يهوى بك إلى الضياع، وقد تقترب من أحدهم حبًا فيبادلك كراهية..

وتقترب من آخر شوقًا فيبادلك تجاهلاً..

وتقترب مشتاقًأ مهتمًا فتعود مخذولاً جائعًا مشتتًا..

فالبعض لديه الموهبة الكافية لتشتيتك..

وقد أبالغ حينما أقول أن بعضهم له القدرة على دفنك حيًا ثم يرحل هو مقدمًا التعازي نيابة عن الجميع..

لملمت فضولي في سكينة وأخذت حقيبتي وبعض الجرائد التي تركتها على المنضدة أمامي وانصرفت عنه.. لا أعلم لماذا اختارني هذا الشخص بالذات ليسرد لي حكايته الغامضة.

ولا أعرف كيف له أن يلقى هذه الثقة على ثيابي.. معطرًا اللقاء بيننا بكلمات من المديح العذب المشهور من الرجال إلى النساء، وكأنه كان يرصع الظن بالذهب بدلاً من الحقيقة التي لا أعرفها إلى الآن.



ادعاء الصلابة

وفى طريقي إلى العمل، والصخب من حولي يزداد بعد ذلك الفاصل من الهدوء الذى أشعر وكأنه فخ لي يستميل قلبي إلى هذا الرجل، وصلت عملي وأنا في قمة حيرتي؛ لاستكمال ما تبقى من التقارير المطلوب منى مراجعتها قبل نشرها بالجريدة.

وتذكرت حوارًا مع رئيسة التحرير ذات يوم ولا أعرف مناسبته.

ـ عنان.. أنا أعيش اسمك حرفيًا ولكن بالهمزة لا بالنون.

فأرد بسذاجة.

ـ قصدك عناء؟ طب وإيه الجديد؟

وأطلقت حينها ضحكة ساخرة لم تنسها إلى الآن.

وترد – مستكملة سخريتي من الحديث –.

ـ عناء.. برافو عليكى.. هي دي.. تعرفي إن كلمة (**عناء**) دي تشبه آية من القرآن «**لقد خلقنا الإنسان في كبد**».. فالعناء هو الكبد.. تعرفي بقى لو كسرتي كلمة «**كبَد**» وخليتيها «**كبِد**»....

أقاطعها:

ـ لحظة.. دي فلسفة عالية أوى.. إيه الفرق بين الفتحة والكسرة؟

تختلس هي نظرة إلى خارج الغرفة.

ـ عارفة كام وظيفة للكبد بيقوم بيها؟ ٥٠٠ وظيفة أو أكتر.. مثلاً تحويل السكر وتخزينه لحد ما نحتاج له.. تنظيم مستواه فى الدم.. تكسير الدهون وتحويلها لكوليسترول.

ـ يااااه كل ده؟ ده الكبد طلع حاجة مهمة أوى في جسمنا وإحنا منعرفش.

ـ والله أحنا فيه حاجات كتير منعرفهاش عن نفسنا يا عنان.. المهم اللى أنا عاوزة أوصلهولك إن الكبد ما يفرقش عن عنان كتير.

أطلق ضحكة عالية قد يسمعها من يمر أمام الباب من الخارج.

ـ الكبد هو الشقاء بذاته.. الكبد يعنى تجميع السموم والتخلص منها زى عنان بالظبط.. دورك تجمعي الصدمات حواليكي وتخلصى منها.. هو أنتي متعرفيش إن أنا اعرف إنك أنتي الإيد اللى بتطبطب ع اللى حواليها؟

وأنظر لها فى عجب وإعجاب في آن واحد.

ـ أيوه أنا بيعجبني فيكي قدرتك على التخطي.

تكمل مستجدية.

- أيوة يا بنتى.. يعنى شوفى.. كلكو هنا بتكرهونى عشان صلابتى.. أنا مش صلبة ولا قاسية ولا جامدة زى ما انتوا متخيلين.. أنا بعرف بس إمتى أسكت دموعى وإمتى أجمد قلبى وإمتى أقسى وإمتى ألين..
- عنان أنا شايفة فيكى نفسى جدًا، وأوقات بلعن طيبتك وضعفك رغم قدرتك على التجاوز زى ما قلت لك......

أقاطعها باستحياء.

- هي الطيبة ضعف؟
- لا مقصدش.. لكن أحيانًا كتر الطيبة بتدي اللى قدامك فرصة انه يستغلها ف حقك كنقطة ضعف.
- بصي يا عنان.. القدرة على التخطي منحة لأصحاب القلوب العنيدة اللي شافت الهشاشة في يوم من الأيام

ترشف رشفة من فنجان قهوتها، ويستثيرني الشغف لاستكمال ما تقول من كلمات جميلة ربما لم يتسن لي أن أسمعها من قبل.

- ما هي يا بنتي القلوب العنيدة دى بتتعب برضو.

ولأول مرة تتلفظ بكلمة (**بنتى**).. فهي امرأة تعامل الجميع بخشونة.

فهم يرونها هنا امرأة لا تعرف الرحمة.

فكيف لامرأة لا تعرف الرحمة أن تلبس ثوب الأمومة فجأة قائلة (**ابنتي**).

تقطع خيالي بمناداتي.

ـ عنان... عنااان.. سرحتي ف إيه؟

وترسم ابتسامة حنونة أراها لأول مرة أيضًا.

ـ ما تستغربيش يا عنان لما أقول لك بنتي.. طب هسألك سؤال.

ـ أكيد.. أتفضلي

وتعتدل فى جلستها على مكتبها الكلاسيكى مما يوحى بأهمية ما ستقوله.

ـ حد منكو سألني قبل كده عن سبب قساوتى؟ حد منكو سأل نفسه «**هي الست دي بتعمل معانا كده ليه؟**»طبعًا مكنش حد يجرؤ يدخل مكتبي أساسًا بحجة إنه بيطمن على حالتى النفسية أو المزاجية.

أقاطع حديثها المدهش.

ـ لأن فيه بيننا حواجز يا فندم.. إنتى الريسة وإحنا شغالين بتوجيهاتك وأوامرك.. صعب جدًا اننا نكسر أي حواجز بيننا وبينك.. عمرك ما وفرتى لنا الفرصة دي.. دايمًا شايفينك مثل أعلى للمرأة اللى بتكتفي بذاتها ومش محتاجة ناس في حياتها

يمتعض وجهها بخجل.

ـ عندك حق.. يمكن أنا عملت الحواجز دي بأسلوبي الجد زيادة عن اللزوم

أفاجئها بتساؤلي هذا.

ـ طب ينفع اسأل حضرتك أنا بالنيابة عنهم.. ليه بتعملى معانا كده؟ آسفة بسحب سؤالي.

تشير بيدها معترضة.

ـ لالا أرجوكي ما تسحبيش السؤال.. أنا مصدقت حد سألني السؤال ده وخصوصًا لما يكون حد مرهف زيك بتفهم في الناس كويس جدًا وبتقرا أفكارهم.

وضحكة ساخرة تدور بداخلي لأقول في نفسي.

ـ أنا لا بفهم ولا حاجة

ـ عنان.. سرحتى تانى؟

ـ لالالا أنا مع حضرتك.

نويت في هذه اللحظة ألا أقاطعها أبدًا لتستكمل حديثها الهام وشرحها لتفاصيل تبدو لي لأول مرة علها تلقى بتلك الغصة التي في صدرها وتستجدى ثقتها بي ولو لبضع دقائق.

أعلم أنها أهم دقائق تمر على منذ عملي مع تلك المرأة قاسية القلب كما يطلقون عليها.

تشعل سيجارًا لها.. وأيضًا هذه أول مرة أعلم أن رئيستي الأنيقة (**تدخن**).

لم أرها من قبل تفعل ذلك.. بل كانت أيضًا تنتقد الزملاء إن رأت بيد أحدهم سيجارًا مشتعلاً حتى أذكر أنها نهرت زميلاً لنا يومًا قائلة له

"لو عارف اللى ف إيدك دى بتؤذى الهوا اللى بتتنفسه إزاى وبتدمر كام حاجة عندك كنت بطلتها من زمان وحلفت ما ترجع لها تانى.. بس أنت واخدها تسلية.. أتسلى وضيع صحتك مش فارقة كتير".

حينها أدركنا جميعًا أنه تكره التدخين والمدخنين.

فكانت كالصاعقة بالنسبة لي حينما قامت بإشعال التبغ أمامي، وكأنني أراها تود لو قامت بحرق أصابعها بدلاً من السيجار. حيث كانت ترتجف بشدة..

يا ويلتاه.. إمرأة بتلك القوة ترتجف؟ يبدو أن هناك أمرًا ما يمزقها إربًا إربًا.

لم أرها يومًا بهذا الضعف، أو بمعنى أدق.. لم أرها في لوحة وجع من قبل.

أخفض رأسي خجلاً من رجفتها تلك، وتجاهلت متعمدة ارتباكها الملعون الذى يسحبها من عالمها القوى إلى عالم يتألم حتى الموت.

فلا يليق بها الاضطراب أبدًا.. هي من النساء التي لا يليق بها سوى الغرور، إنما الغرور المرصع بالجمال الأرستقراطي، فهي رغم قساوتها وجفاء خطوتها وحديثها إلا أنها تتمتع بجمال هادئ مميز غير صاخب يخلو من العبث.

دقيقة ومرتبة وواعية، وتحمل من الحكمة ما يجذب إليها أي رجل رغم تلك الهالة القاسية المرتسمة حولها والتي تخالف تمامًا ما يكمن من طيبة داخلها.

يبدو أنني لم أصدأ بعد، وقادرة كما قالت على قراءة الأشخاص.

أتمنى لو كانت قراءتي لها تكون حقيقية. تبدأ هي في ارتشاف قهوتها التي تكره أن تتناولها باردة أو تكون قد فقدت وجهها.

هي تكره إلا أن يكون كل شيء أمامها مثالي الهيئة.. بل ومكتمل المعالم أيضًا.

هؤلاء الأشخاص الذين يدعون الصلابة دائمًا تجدهم صغارًا جدًا من الداخل.

بل قد يصلون إلى مرحلة الأجنة التي لا تود منك سوى الاحتضان فقط.

- عنان.. إنتى يتيمة صح؟ آسفة.. أقصد عايشة مع خالتك؟

نصف ابتسامة حزينة على وجهي تكشف جرح سؤالها رغم واقعيته.

- وآسفة ليه يا فندم؟ هو اليتم فيه أسف؟

تحاول كسر الارتباك الذى ظهر على ملامحي.

- لأ كنت أقصد فقدانك لأبوكي وأمك.. ده اللى اقصده.. يمكن كلمة (**يتيمة**) جارحة أكتر بالنسبة لك...

ونويت هنا أن أقاطعها مفسرة لكلمة (**يتم**).

- يا ريت نطقها بس هو اللي جارح.. ده نطقها وتجربتها ومعيشتها وحقيقتها.. كل ما فيها دابح مش جارح بس.. ربنا ما يحكم على حد يا ريسة باليتم أبدًا

وهنا شعرت أنني طعنتها بخنجر قد طبع عليه الزمن أحزانه وويلاته.

- الحقيقة هو ربنا حكم من زمان وأنا أصغر منك بعشر سنين.. برضو فقدتهم في حادثة.. بس الفرق بيني وبينك يا عنان إن أنا كنت معاهم وقت خروج الروح.. عارفة يا عنان إيه معنى إنك تشوفى أقرب الناس ليكى وهو مش قاصد يودعك ولا قاصد يتخلى عنك ولا متعمد يسيبك وحيدة بس مجبر يبص لك البصة الأخيرة.. عارفة اللحظة دي؟

وتنهمر الدموع من عينيها وكأنها على وشك أن تكون سيولاً جارفة.

- لأ بس أنا جربت مرارة الفراق قبل كده وعايشاه

ويسود الصمت المكان، لتنهمر بعض الدموع مرة أخرى.. بل اللآلئ فوق وجنتيها.

ولأول مرة أجد أن الزمن قد توقف هنا للحظة.

لا يمكن لك أن تتخيل أن في مقدرة أحدهم تتساقط دموعه سهوًا أو عمدًا من عين يقال عنها أنها لا تعرف حنانًا أو حنينًا أو رأفة.

لا نفهم لها لغة.. ولكنني أشعر أن اللغات جميعها هي التي تلعثمت في فمها لتخفى حزنها هذا، ولكن محاولاتها في إخفاء ذلك الحزن باءت بالفشل.

وتكمل حديثها الباكي.

- خروج الروح من حد إنتى عايشة بيه معناه إعلان شهادة وفاتك.. بس شهادة وفاة غير محددة التاريخ ولا الزمن.. هي بس

ملطخة بالدم والوجع.. آخر حاجة فاكراها من وقتها ابتسامة أمي ليا وهى بتفارق من غير ما تنطق بحرف واحد وكلمتين لبابا وهو بيصارع الموت بكل جهد فضل له من الحادثة.. كلمتين عمرهم ما هيفارقوا خيالي طول الوقت.

وتتنفس هنا طويلاً وكأنها تستدعى الشهيق في حرقة قلب.

ـ وكأنه كان بيلقننى درس في الأدوات اللى همشى بيها فى حياتى من بعده.. كانت مجرد دقايق لكن كلام كأنه أتقال فى سنين.. «إياكى تحزنى أو تضعفى أو تبكى من بعدى.. أنا رايح لمكان جميل جدًا يا حبيبتى.. إعتبرينى رايح مشوار طويل شوية وهغيب عنك شوية بس معاكي.. إنتى عارفة انتى بتعملي إيه لما بغيب عنك شوية.. لما كنت بتأخر عنك فى شغل أو سفر؟..»

ـ ودموعي كانت مغرقاني يا عنان لدرجة إني مكنتش قادرة أشوفه.. كنت بسمعه بالعافية من كتر مكنتش مستوعبة.. حسيت ساعتها انى فقدت السمع والبصر والحواس كلها ماتت عندى.. «**عارفة يا بابا.. بقفل عليا الباب بالمفتاح وما افتحش لحد مهما كان مين، وبخلى بالى من نفسي عشان أنا نفسك.. مش أنت دايمًا بتقوللى كده؟**»

ـ محاولاً التقاط أنفاسه الأخيرة

ـ مش بس كده يا نفسي.. يا بنتى يا حبيبتى.. إقفلى بيبان قلبك قبل بيبان بيتك عشان بيبان القلب مش متأمنة كفاية.. الحرامى

بيدخل من الأبواب الضعيفة.. قوى قلبك عشان تقدري تعيشي في أمان وعشان كمان أبقى مطمن عليكى فى تربتي.. أنا عارف إنى رايح وسايب ورايا بنت شجاعة بميت راجل مش هتنكسر من الصدمات ولا الحب ولا الزمن نفسه

أقاطعها ..

- ياااااه على دى جملة.. آسفة أنى قاطعتك.. اتفضلى كملي
- في ثانية كان شادد على إيدي وكانت الضمة الأخيرة.

في تلك اللحظة شعرت أن الإنسانة التي أمامي وكأنها تفتت روحها وتمزقت أوردتها دون إرادتها..

- أقوى مرة بابا شد فيها على إيدى وهو بيكرر «**قوى قلبك**» أكتر من مرة.. ونطق الشهادة وهو باصص للسما وفارقت إيده إيديا.. مش إيده بس اللى فارقتنى.. روحه وقوته ونفسه وحسه معايا ونصايحه وحس أمى الحنونة.. وقتها عرفت يا عنان يعنى إيه يتم.. يمكن وقتها لو كنت مت معاهم كان حيبقى أهون كتير من اللحظات اللى عشتها فى خروج روحهم قدامى.. على فكرة أنا مش واجعنى الفراق على قد ما وجعني الحضن اللى اتحرمت منه.. حضن الأم وحضن الأب اللى ما يتعوضوش يا عنان ولا يقدر يعوضهم لك أى بنى آدم على سطح الأرض.. كان هو الوطن الحقيقي.. حضنهم كان مناعة.. حصانة ليا.. وبعدهم ضعفت مناعتى الحياتية والصحية والنفسية رغم ان كلام أبويا قوانى كتير لأنى وعدته إنى هكون أقوى.. وعدته

إنى مش هخاف من أى حد ولا أى حاجة.. علمنى إزاى أحوِّل الصعاب لبحور أعديها حتى لو مبعرفش أعوم.. إزاى أخلى الكل يهابنى ويخافوا يقربوا منى.. عملت لنفسي سور حديد حواليا عمره ما ينكسر

وشهقة حنين تخرج من أنفاسها التى تحترق بلا رماد لا ينطفئ.. أنفاسها الحية الممزقة التى أراها وأشعر بها للمرة الأولى.. قائلة فى ألم.

- أنا أتعودت على الفقد يا عنان.. عاشنى وعشته.. بخسر ناس كتير فى طريقى.. القدر رافض يجمعنى بيهم أو رافض يسمح لى أكمل معاهم.. القدر ما بيفرقش بين الموجوع والفاقد والمفقود.. بيسلبنا ويسرق مننا ناس بنحبها كتير وكأنه مش بيختبرنا غير فى روحنا اللى متشعلقة بيهم.. غصبن عننا مكتوب نفارقهم ويفارقونا

وهنا.. وكأنها طرقت بمطرقة حديدية على الواقع بكل ما يحمل من قسوة.

- الحياة طريق.. يا تمشيه باعتدال يا إما باعوجاج.. فى الحالتين هتتعثر لأن العثرة نصيب مكتوب على الكل.. بس كل واحد بتختلف شكل عثرته.. فيه عثرات على هيئة وداع.. عثرات على شكل ديون وأعباء.. عثرات موت وفراق وفقد.. وعثرات خيبات وخداع وخذلان من أقرب الناس.. ده غير عثرات عدم تحقيق الأماني المركونة على رف الزمن.

وبانحناءة خفيفة لرأسي، أتفقد بكاءها المنهمر رغم مكابرتها ومقاومتها له..

وهنا أجد فيها الأنثى التي تستعيد صلابتها.

- وهنفضل لحد إمتى منكملش مع الناس اللى بنحبهم؟ مهو لو كان مكتوب لنا من الأول إننا نكمل معاهم مكناش اتوجعنا كده ولا كان فيه حد يقدر يكسرنا بعديهم.. واضح ان القلوب بتحس بالوداع قبلنا بكتير.. طب اقول لك على حاجة يا عنان تفزعك أكتر؟ أنا ما فقدتش أهلي وبس.. أنا فقدت حتة منى.

وهنا بدأت تجاعيد العمر تفترس وجهها لا إراديًا..

تنهمر الدموع هذه المرة بغزارة شديدة لا يمكن السيطرة عليها.

وتستكمل فى تعاسة لا مثيل لها وكأن الزمن قد طعنها آلاف المرات لا مرة واحدة.

- أنا أتعرفت على شاب وكان عمري وقتها ٢٥ سنة.. هتستغربي لو قلت لك أتعرفت عليه في الطيارة.. إنتى عارفة بحكم شغلي كنت بغطي أحداث كتير بره مصر.. كنت لازم أروح بنفسي بلاد كتير.. فكان عندي شغل مهم في تونس في يوم من الأيام.. سافرت.. وفى الرحلة دى أتعرفت على (**أيمن**)

نصف ابتسامة حزينة.

- يااااه بقالى كتير مقلتش الإسم ده.. أقصر قصة حب ممكن تحصل فى تاريخ البشر وكأنى نسيت أقفل البيبان اللى وصانى أبويا عليها.. كان ساحر.. مش شغلته إنما شخصيته ما تفرقش

عن الساحر كتير.. الساحر شغلته إنه يلعب بإيديه.. عنده خفة
اليد نعمة ربنا أداها له عشان يشد بيها الجمهور.. إنما أيمن كان
بيتلاعب بالروح.. عنده خفة ظل شدتني وكنت أنا الجمهور
الغبي اللي صدقه وسقف له ووقع فى الفخ من أول دقيقة..
زى ما أكون أتنصب لي شباك من الخداع وكأني كنت معمية
في عيني.. حبيته بمجرد وصولنا لمطار تونس.. قررنا نتجوز..
وطبعًا المجانين ميجوش هنا حاجة جنبنا

وتابعت حديثها بضحكة باكية..

لا أخفى عليكم.. فلا يوجد في الدنيا أروع من الضحكات الباكية..

فهي أصدق الأشياء حزنًا.. هي أقوى دلائل الوحدة والضعف رغم القوة والاحتياج رغم المكابرة..

لا ترى شخصًا يضحك إلا وفى عينيه شيء من البكاء..

إلا وكانت تمزقه الأشياء أو الأشخاص أو الوحدة إربًا، حتى لو عاش سعيدًا ومدعيًا للسعادة والاكتفاء بين الآخرين..

حتى ولو كان يبدو لك أنه شخص اجتماعي حد الانشغال..

هناك أمر ما يخفيه عن الجميع.. هناك كثير من الحكايا التي تطويها طبقات جلده..

وله ضحكته الدامعة التي لا تكذب وإن كذب هو..

فهو يدعى دائمًا أنه مؤنس وينتمي للآخرين بشكل ما محاولاً خداع الأصدقاء بضحكته الرنانة التي تشبه استغاثة شاة مذبوحة تتراقص في

الأرض ألمًا واحتضارًا وهمًا..

وكلما علا صوت ضحكته زاد تأكدك أن خلف هذه الضحكة ألم عظيم..

ففي حقيقة الأمر أن الأنثى لها ضحكة باكية في حالتين..

في حالة الخيبة وفى حالة الفقد..

يعلو صوت ضحكتها من نزف روح لا يعرف أحد عنها شيئًا..

تخرج لك مبتسمة ثابتة هادئة.. حتى لو كانت غرفتها تعج بالصراخ. ولكن هنا عليك أن تعلم أن الأنثى عندما يخذلها أحدهم فهي لا تكترث للأيام.. ولا تلاحق المواقف فيما بعد..

تصبح باردة كقطع الثلج فى أشد الأيام حرارة..

ولا تنتمي لأحد.. ولا تثق مجددًا..

بل تحذف من قاموس دنياها كلمة (**ثقة**)..فحين تذبح المرأة.. لا تبالي بأي سكين نحرتها، ولكن ليس معنى ذلك أنها تنسى ذلك الشخص الذى قام بنحرها..

هيهات.. حتى لو كان ذلك الشخص مستغنيًا كل الاستغناء عن مجد امرأة علمته الحب والحياة وقد قام هو بقتل الحياة فيها بلا رحمة أو شفقة..

وهناك سؤال يلح في أذهان الجميع..

هل تموت النساء حقًا بعد الخيبة من رجل؟.

حاشاها ذلك.. بل تعود الأنثى من خيبتها شاعرة بالهذيان للحظات وساعات وأيام..

تتنفس مجددًا.. تحيا مجددا بمنتهى القوة..

تتكئ على جرحها بشدة ليخرج آخر نزفه العميق، وتضع مكانه بطانة نسيان..

لتضع جميع الرجال في محرقة النسيان إلى الأبد..

لتحمى نفسها من الوقوع في الفخ مرة أخرى..

المرأة لا تنكسر.. وإنما يصيبها شرخ الخذلان فحسب..

تزيحه عن نفسها..

هي في الحقيقة خلقت من ضلع كما يقال، ولكنها أقوى من كل ضلوع الدنيا. وأقوى من هزائم البشر جميعًا..

الفرق بين الأنثى والرجل الحق..

نعم.. فليس كل ذكر يستحق لقب (**رجل**)..

هو أن الرجال عندما يقتلون فى قلوبهم.. من الصعب عودتهم إلى الحياة إلا بمعجزة..

إنما المرأة إذا انكسرت.. زادها الكسر صلابة، وحدة وشجاعة وعنفوانًا وعنادًا وقساوة ومجدًا أيضًا..

فالمجد لا يصنع إلا بالحسرة..

المجد تصنعه قسوة الظروف والأشخاص عليك..

فكلما مر عليك قلب غليظ التصرف أساء إليك.. تعلمت كيف تتشبث بنفسك أكثر فأكثر..

وتقسم ألا تكون فى حاجة لأحد مهما كلفك الأمر..

تعانق نفسك بالصبر.. وتعالجها بالتصبر أيضًا..

تتعلم كيف تواسيها بالحكمة.. والحكمة لا تكتمل إلا بالانهزام..

والتعلم من الهزيمة بأن تقسم ألا تعود للوقوع فى نفس الفخ مرة أخرى..

تتعلم كيف تنتصر على الحزن.. كجندى مسلح بسلاح الحكمة والعقل..

فقد تكمن قوتك في الاكتفاء ولا تعلم..

قد تكمن في التخلي ولا تعلم.. وفى الاستغناء والبقاء على أرضك..

صلبًا رافضًا للكسر.. رفيق نفسك وصديقها الوحيد..

تشد من أزرك.. تعمل على عزمك دون الحاجة إلى يد تفلت يدك بلا رحمة..

قد ترى النور في عزلتك والمجد في بقائك صلبًا دون الحاجة لأحد..

ودون أن تطلب العون من أحد..

فقد تكمن قوتك في هزيمة هشاشة روحك مهما تفاقمت الصعاب..

ومحو ضعفك تجاه الأشياء والأشخاص إلى الأبد..

ولكن بقرارات يقودها العقل..

العقل فحسب..

العقل وكفى..

وتكمل هنا مستجدية حديثها الدامع.

- حبيته جدًا يا عنان، أعلن عن حبه فى الطيارة وطلب يتجوزني في لحظة وصولنا المطار.. قلبى معرفش يقول لأ.. عقلي لغيته ونسيت كل نصايح أبويا أني أقفل بيبان قلبي كويس واتحكم فيها.. بس عرفت ان الحب هو الخاصية الوحيدة اللى مفيش قوة فى العالم تقدر تمنعه من إنه يوصل للقلب.. الحب مش احنا اللي بنصنعه يا بنتى ولا بنعرف حتى نتعلمه ونحط له منهج يمشى مع ظروفنا ومبادئنا.. ولا حتى بإيدنا نصده واللا ناخد حذرنا منه.

وشردت للحظة وفى نفسي أسب الحب هذا.

تبًا لقرارات يقودها القلب..

تبًا لنبض يعتصرك ويعلق آمالك على قلب آخر..

تبًا لدمع يقتص منك الأمان..

- كشرتى ليه كده يا عنان؟ يعنى فيه كلام يتقال عن الحب ووشك ما ينورش كده.. الحب مش نقمة يا بنتى.. إحنا اللى نقمة.. إحنا اللى حولناه للعنة.. تعويذة خايفين نقولها أو نعيشها.. أنا ما غلطتش لما حبيته.. أنا غلطت لما اتسرعت ف ثقتى بيه..

وعيب الحب انه ما بيكشفش نوايا حبيبك ولا بيظهر لك عيوبه إلا بعد فوات الأوان.. بالعكس ده بيمسح عيوبه بأستيكة.. تعرفى إيه اللى أسوأ من الثقة؟ إن يكون فى آخر ثقتك هزيمة وحاجات كتيرة بنخسرها مع الثقة المفرطة ومنعرفش نرجعها تانى.

- طب أنا هعرف إزاى إن ثقتى ف محلها واللا لأ؟

- سهلة جدًا.. لما يتخابث عليكى الشخص ده ويستعمل كل الحيل اللى تمنع وجود الراحة فى العلاقة.. مفيش راحة بتحسيها ١٠٠ ٪.. بتحسى انك بتتخطفي بس خطف تحت تهديد السلاح.. السلاح اللي هو الحب.. وده يا إما يكون فى إيدك انتى يا إما بيتوجه لك.. يا قاتل يا مقتول مفيش مناقشة

أقاطعها هنا وكأننا فى معركة لا نحكى عن علاقة حب.

- مهو بالشكل ده محدش هيحب حد ولا يثق في حد

- إنتى لازم تعرفى إن الفرق بيننا وبين الناس اللى بترتبط بدون حب هو الاستسلام.. هما مبيعرفوش يستسلموا ولا ييأسوا لأن الأمور بالنسبة لهم زى بعضها.. أما لو أحنا حبينا بنستسلم ونسلم وبنثق.. بنبقى متكتفين بمزاجنا.. مخطوفين برغبتنا.. حتى لو مفيش راحة كاملة جوانا

وهنا نفهم أنه بمحض إرادتنا "**نضيع**".. بمحض إرادتنا ننساق.

نرجو الحب.. وهو قد لا يرجونا حينها.

نحاول أن نعانقه بعشق وهو ينفض يديه منا مغتسلاً ومتبرئًا من كل ذنب اقترفناه بسببه أو بحماقة ظن من قلوبنا.

نفهم هنا جيدًا أن الحب لا يغتالك رغمًا عنك.

إنما يتلذذ باحتراقك وتجزئتك.

فهو يعلم جيدًا أن هذا الأمر يروق لك.

حتى ولو كنت تتمزق إربًا أمامه.

الحب لا ينهار من أجل أحدهم.. وإنما يضعه في صوبة زجاجية..

في عنق قنينة مشروخة تحطمت آلاف المرات.

ليتركك إما مشوهًا أو لقيطًا لا أهل لك ولا صدى إن لم تحسن القرار والاختيار.

يتركك أنت سيد قرارك.. تعتاد العلو أو تعتاد السقوط.

تعتاد الضحك أو تمارس البكاء.

فقيرًا أو غنيًا.. وحيدًا أو مؤنسًا.. مظلمًا أو مضيئًا.

ضعيفًا أو قويًا.

لك الأمر في النهاية.. بحسن أو سوء اختيارك من البداية.

وتكمل رئيسة التحرير حديثها الساخر.

- أتجوزنا.. عشنا أحلى قصة حب في العالم لمدة سنتين.. سنتين ما بطلش القمر يغنى فيها ولا الشمس بطلت تشرق جوه قلوبنا.. بس يمكن الأرض كانت بتقف عن الدوران في كل قبلة.. في

كل لمسة منه.. حاجات لا يمكن كنت أتخيل إني أعيشها مع بنى آدم عرفته وحبيته وأتجوزته في دقايق جوه طيارة.

كانت تحكى لي وتسرد الأحداث وتصف كيفية توقف الأرض عن الدوران.

كانت رائعة في وصفها حينما قالت أن الطبيعة كانت تشاركهما الغرق.

كنت أسمعها وكأنها تلقى قصيدة لنزار قباني على مسرح يعج بالجموع، وتشدو النساء حوله صرعى لكلماته وإحساسه، وتقفز سريعًا إلى ذهنى أبيات قبانى حينما قال لمحبوبته..

لا تحزني إن هبط الرواد في أرض القمر

فستبقين في عيني دائمًا أحلى قمر

حين أكون عاشقًا أشعر أنى ملك الزمان

أمتلك الأرض وما عليها

وأدخل الشمس على حصاني

حين أكون عاشقًا

أجعل شاه الفرس من رعيتي

وأخضع الصين لصولجاني

وأنقل البحار من مكانها

ولو أردت.. لأوقف الثواني

آه من كلمات تقتل اللوعة وتحييها في آن واحد.

"إنها لعنة الحب يا سيدتي" أهمس في نفسي لها.

وتقاطع خيالي الرومانسي بسيف الحقيقة.

ـ تعويذة زى ما قلت لك.. الراجل ده جردنى من أي قسوة شفتها من الدنيا.. فتحت له بيبان قلبى وانا واثقة إنى هتكسر.. بلاش واثقة.. كنت حاسة.. فما بالك بقى لما ست تحس بالخطر.. كنت على الحافة فى لحظة جوازى منه.. بين العشق والموت في وقت واحد مش بين الحياة والموت.. سنتين كاملين معرفش غير إنه رجل أعمال وبس.. عايشة مع عاشق وبس.. والعشق لما ياخدك زى الموت هتهرب منه على فين.. سنتين من الغرام واتتوج حبنا بعد شهرين.. حملت ف توأم.. بنت وولد ما يختلفوش عن الشمس والقمر كتير

وتواصل التدخين.. سيجارًا بعد آخر في حرقة.

لا السيجار ينطفئ.. ولا هي تهدأ.

تستكمل في ألم.

ـ بعد أيام من الولادة.. تعبت بنتي وحرارتها كانت مرتفعة.. جريت بيها لأقرب مستشفى أطفال وقتها.. تحاليل كتير محدش عارف فيه إيه.. اللي قال فيروس واللي قال حمى.. بهدلة علاج وحقن وحجز في المستشفى بالأسابيع.. في الآخر شخصوا إن مرضها نادر والأمل ضعيف في الشفا.. والفرحة ماتت معاها.

وأبكى من فرط الصدمة.

- ماتت !!!!!

تنهمر بحور الدموع من عينيها.

- أيوة.. حالتها ملهاش علاج.. نتايجه ضعيفة زى ما قالوا.. ما فضلش غير أخوها التوأم هو اللى خفف من حدة ألمي.. هون عليا كسرة القلب.. هو ما منعش إن الألم موجود بس هون وجعه شوية.

- حتة منى راحت قدام عيني للمرة التانية.. الغريب مش موتها ولا مرضها.. ده أمر الله مش معترضة عليه..

تحاول التقاط أنفاسها كغريق يأمل في منقذ له ولا يجد أحدًا فيستسلم لمصيره.

- الغريب صدمتي في شريك حياتي بعد الحدث ده.. يقتلك رد الفعل الصعب لما يكون من أقرب الناس.. يقتلك الحزن لما يسببه أقرب حد هو أبعد الناس عن فكرك وقت ما تنجرح إن يكون هو سبب جرحك.. ما تتوقعش ده.. لوم وعتاب وتأنيب وكأني أنا اللي أتسببت فى موتها وأهملت رعايتها مع إنها كانت شغلي الشاغل.. واتعطلت عن العمل السنتين دول عشان أتفرغ له هو والأولاد زى ما طلب.. وعملت ده بدافع الحب مش بدافع المسؤولية بس.. برضه عينيه فضلت تلومنى فى الفترة بعد وفاة بنتي.. كان بيقتلني ببطء نظرات اللوم والعتاب منه.. اتفقنا نكمل حياتنا بره تونس وبره مصر.. بره الدنيا لو قدرنا..

ما بينتش اعتراضي.. بالعكس أنا وافقت.. كنت عايزة أهرب من مكاني ومن آلامي لو قدرت. وجهزنا أوراقنا وشنطتنا وكل احتياجاتنا.. قررنا نمشى في نفس الأسبوع اللى أتكلمنا فيه إننا عايزين نتخلص من وجعنا ونفتح صفحة جديدة مع بعض..

وهنا نعلم أن المرأة حين تتخلى عن طموحها أو أن تؤجل تحقيق أحلامها، فذلك يكون بدافع الحب.. بل بدافع العشق.

تعشق المرأة الرجل الذي يحنو بكرم.. يلتقط أنفاسه من خلالها.

يسافر معها في خياله قبل واقعه.

من يصب الاهتمام صبًا.. ينهار إذا غابت، ويغادر المكان الذي يخلو من حبيبته.

هنا تفترش له المرأة كامل سنواتها بمحض إرادتها.

تستكمل باكية ومحاولة التماسك..

- في يوم عادى جدًا صحيت على رسالة غامضة جدًا منه جنب راسى وأنا شبه صاحية «**فاطمة أنا سافرت أو هاجرت.. إفهميها زى ما تحبى.. معرفش هرجع إمتى واللا مش هرجع.. أنا خدت ابني معايا أحميه من حزنك الطويل.. لما تتخلصي من أوجاعك ساعتها يمكن أفكر أرجع.. المهم ما تتعبيش نفسك وتدوري عليا.. سامحيني والتمسي لي العذر.. ما أنتي ياما عذرتينى**»

ويسود الصمت مرة أخرى في المكان فيما تحاول هي أن تبتلع بركانها الثائر.

- عنان.. أنا مش موجوعة ولا مخدوعة ولا حتى مصدومة.. أنا أتعودت الحزن والألم من بعد فراق أبويا وأمي قدام عيني.. مبقاش فارق معايا فراق حد بعديهم.. فقد رحل الأغلى زى ما بيقولوا يا بنتي..

وهنا تطل بذهني أبيات نزارية.

أدمنت أحزاني فصرت أخاف ألا أحزن

وطعنت آلافًا من المرات حتى صار يوجعني بأن لا أطعن

ولعنت في كل اللغات

وصار يقلقني ألا ألعن

ولقد شنقت على جدار قصائدي

ووصيتي كانت أن لا أدفن

وتشابهت كل البلاد

فلا أرى نفسي هناك.. ولا أرى نفسي هنا

- تعرفي يا مدام فاطمة.. أول مرة معرفش أرد على كلام من صعوبة الصدمة

- ومين قال لك إني كنت مصدومة

ضحكة ساخرة مفعمة بالشجن.

ـ أنا من كتر ما كنتش عارفة أنا حاسة بإيه وقتها جالى شبه شلل مؤقت في دراعى ورجلي الشمال.. الدنيا مش اسودت بس.. دى انتهت.. تموت بنتى بعد ولادتها بأيام بمرض نادر وأشيل ذنبها بدون وجه حق وابني يتخطف من حضني بين يوم وليلة.. والشخص اللى سلمته قلبي وروحي ونفسي وثقتي.. طعنى طعنة العمر.. تفتكرى واحدة عاشت كل ده تكمل ازاى؟

ـ طب عملتى إيه بعدها؟ عشتي إزاى؟ عملتى إيه وانتى كنتى وحدك في الغربة؟

ـ رجعت بلدى ورحت السفارة وبلغت واشتكيت للدنيا ورحت المحاكم ولفيت على كعوب رجلي بعد ما حالة الشلل دى هديت شوية بشوية.. محدش كان معايا وقتها غير ربنا.. معرفتش اعتر في ابني غير من شهور بسيطة.. وأنا بقرا الصحف الإنجليزية اللى بجيبها زى كل يوم ظهرت صورة أيمن بين رجال الأعمال المشاهير وكأن وقتها يا بنتى حد سحب سكينة حامية من قلبى ورجع ضربنى بيها تانى بمنتهى القسوة

ـ يعنى عرفتى طريقه؟ عرفتى حاجة عن ابنك؟

ـ بمتابعتى وبحثى على النت عرفت انه مقيم فى لندن بقاله كتير.. أو يمكن وقت ما سابنى سافر واستقر هناك.. السؤال هنا يا ترى إبنى فين؟ عايش !!! اتجوز!!! بيدرس !!!! اشتغل!!! مبسوط واللا زعلان؟؟؟ يا ترى وحشته؟؟ يعرفنى؟؟ سمع عنى؟؟

يا ترى حكى عنى؟؟ قال له عايشة ولّا ميتة؟؟ موجودة واللا مليش وجود؟؟

- يا ترى شكله إيه !!! ملامحه إيه !!! شبهي واللا شبهه؟؟

- موجوعة يا بنتي زى الطفل ما يتخطف من أمه في الشارع وبتفقد الأمل إنها تلاقيه

النساء الطيبات لا يغرقن في بحر رجل طيب.. بل يسبحن في بحور المزيفين..

وكأنهن بارعات في اصطياد الحمقى..

نعم.. المخلصات والطيبات بارعات في اصطياد الحمقى..

فقد تظن أن أحدهم يحبك وأنت لست في حياته أكثر من صديق.

أكثر من مجرد جدار يتكئ عليه.

وأحسست بالانكسار.

الحطام الذي يصنعه القلب لا يموت.

فكما ذكرت أن عمران كان حياة صنعتها في مخيلتي فقط، فسرعان ما أوقف نبض تلك الحياة بحديثه الدائم عن الأخريات، وحديثه الشيق عن قصص الحب التي كان يعيشها وكنت أنا واحته الوحيدة، وبوابة الاعترافات العظيمة أيضًا.

كانت معاناته الوحيدة أنه لا يجيد التعرف، أو بمعنى أدق لا يجيد التفرقة بين الحب الحقيقي والحب المنمق، وأنصرف من مكتب رئيسة التحرير وكلى مخزون من الحزن على تلك المرأة التي نعتوها بالقاسية،وهى

التي رأت من الدنيا قسوة لا يضاهيها أحد فيها.

كثيرًا ما نحكم على الآخرين من مجرد مظهرهم الخارجي.

تراه براقًا من الخارج وهو يحمل لك من الوحشة أعوامًا وأعوام.

تراه مبتسمًا وهو يعيش قصة مؤلمة بداخله، أو تراه باكيًا والفرح يزف وريده دون أن يعلم أحد.

تارة ترى أحدهم مصطنعًا الحب لك في كلامه وهو يحمل كراهية وحقدًا يخالف أفعاله.

كنت دائمًا ألفت انتباه عقل عمران إلى أنه هناك فرق كبير بين من يحبك حقًا ومن يلعب دور المحب في حياتك.

الحب الحق ليس بحاجة إلى دلائل وإنما في حاجة إلى الأوفياء الأنقياء.

الحب الحق فلسفة راقية جدًا.. فوهة بركان تتوهج نورًا ونارًا؛ لتعيد تأهيلك النفسي وتختطفك من نفسك.

كنت دائمة التحذير لعاطفته تجاه الأخريات.

فكما هناك رجال هوايتهم المفضلة تدمير قلوب الإناث بشتى الطرق.

وبكل ما في وسعهم من وسائل، فهناك رجال – مع الاعتذار لكلمة رجال ويجب استبدالها بكلمة ذكور – هناك ذكور فاقدو الرحمة والإنسانية حين يقومون بدهس قلوب الجميلات. يبالغون في ترك شظايا الكسر متفرقًا في أنحاء أجسادهن بلا شفقة. قادرون على فتك الإرادة بداخلهن وتمزيق وريقات الأمل بقلوبهن؛ تاركين الشمس محترقة فيهن.. تغيم

في حزن، ومن العدالة أيضًا ألا ننسى أن هناك أيضًا نساء غير عادلات.. قاسيات لا يرحمن أحدًا.

ولكن الفرق بين الرجال والنساء في القسوة، أن المرأة حينما تقسو فإن لقسوتها تاريخ قديم، لا بد وأن تكون قد ذبحت من قبل، فالمرأة حين تغتال.. فقد اغتيلت من قبل.

الأنثى – يا سادة - تولد بالفطرة طفلة يشوه طفولتها المجتمع.

تحطم براءتها التجارب التي تلحقها... كلعنة لا تموت ولا تغادر صاحبها.

إن الأنثى حين تدعى القوة.. هي في الحقيقة هشة جدًا..هشة إلى الحد الذي يجعلك تقف أمام ضعفها أبًا وأخًا وصديقًا رحيمًا، ستراها بعين الأب والأخ والصديق أنها كاذبة وتدعى القوة والصلابة لا أكثر.

الأنثى لا تقسو إلا إذا عاشت مرة وقتلت في المقابل ألف مرة.

لا يمكن أن تمر على قلب إحداهن يومًا حتى وإن فاض من الضحك إلا وقرأت بين سطور ضحكتها علة أو نزفًا أو درسًا لم ينته بداخلها أحداثه.

عمران كان إحدى ضحايا الفتيات القاسيات، ولكن هذه المرة لم يحدد هل كانت تحبه حقًا أم كانت تمثل عليه الحب..

فحين حكى لي قصة انشغاله ولهفته بها، ظننت أنها جديرة بهذا القلب الكبير..

والأنثى التي تجد قلبًا كبيرًا ولا تسكنه في وقت وجيز فقد خسرت..

وقد تخسر كثيرًا، ولم ولن تعوض رجلاً حين يحب تتحول الدنيا بين يديه.

لأمنية لا تنتهي.. لقضية رابحة..

لجنة عرضها الحياة والموت..

الرجل الحق حين يحب، تتحول أنثاه إلى أمسية شعرية في ليل لا يغيب عنه القمر بمحض إرادته.

وفى صدمة عمران بنهاية تجربته المؤلمة كان لي دورًا في نصحه كالعادة.

فقد اعتاد أن يحكى.. واعتدت أن أتفلسف من وجهة نظره.

وفى حديث بيننا بعد روايته الممزقة التى جرحت قلبه الكبير.

ـ لحد دلوقتي متعرفش تفرق بين حد بيحبك بجد وحد تاني بيمثل عليك الحب.

هو ساخرًا.

ـ تانى؟ إنتى تانى؟ برضو غلطتى أنا؟

ـ تانى وتالت ورابع.. مبتتعلمش أبدًا ولا هتتعلم

وفى هذه اللحظة.. تمنيت لو أن بيدي مطرقة أوجه بها له ضربة قوية على رأسه عله يفيق من سذاجته.

ولكن.. هل الحب سذاجة؟.

أبدًا.. إنما الحب قضية.

من يحبك يعرف جيدًا أنه إذا خسرك لن يعوضك.. فيعمل جاهدًا على ألا يخسرك.

من يحبك لا يكرر نفس أخطائه.. لأنه يعلم أنه إذا كرر نفس الحماقات معك سيسقط من عين قلبك، فيبذل قصارى جهده في ألا يكررها أو يقترب منها، يفشل أن يتفلسف أمامك، فأمامك الحقائق ظاهرة وباطنة لا تتغير. يتقبلك كما أنت.. وكأنه يعيش لإرضائك.

فقط من يحب.. يشعر بك دونما أي أحاديث بينكما.. فهو في الشدة (**سند**) وفى الوحدة (**ونيس**) وفى الغربة (**وطن**).

محبته ليست كلامًا معسولاً.. محبته أفعال لا أقوال.

يخشى التقصير في حقك.. فهو على يقين تام أن التقصير في حقك جريمة لا يعاقب عليها القانون.

إنما جريمة تعاقب عليها الأيام.

يعمل جاهدًا لتلبية كافة احتياجاتك القلبية دونما أن تلمح له بذلك.

من يحبك لا يرهقك نفسيًا أو عصبيًا.. غير مهلك ذهنيًا.

إن الأشخاص غير المجهدين ذهنيًا لك "**نعمة كبيرة لا تقدر بثمن**".

ففي هذا الزمن.. ما أكثر المجهدين ذهنيًا وروحيًا.

ما أكثر المستنزفين لطاقتنا.. وما أكثر المهدرين لراحتنا النفسية والجسدية والعقلية.

من يحب لا يمكن له إهدارك أو إضاعتك.. لا يمكنه إهلاكك باسم الحب.

من يحبك يجتهد في الحفاظ عليك.

وضع ألف خط تحت كلمة "**الحفاظ عليك**"لأن لا حب يدوم بدون رعاية. من يحب يؤمن كامل الإيمان أن الحب مجهود.. ليس فقط تصرفات وأحداث تجمع بينكما. الارتباط بالنسبة له شيء مقدس.. فهو يجيد التوحد فيك. يشدد على قلبك قبل يدك.. يقدس روحك لا جسدك.

الحب طهر وتطهر.. تطهر من الذنوب التي لم تفعلها حتى..

أستكمل حديثي لعمران وكلي خوف أن أنزع يومه بكلماتي الثقيلة على قلبه. ولكنه تعود منى الحقيقة بكل مرارتها..

- يعنى يا عمران أقصد انك ما بتتعلمش إزاى كم الألم اللى أنت بتعيشه من تجاربك وأنت إزاى غير مبالى كده.

مبتسمًا بعفوية طفل.

- ما هو أنا لو هركز زيك وهتخنق هاموت.. وأنا حابب الحياة بصراحة مش عايز أموت دلوقتى.

ضحكة دامعة منه تخذل ثباته.

وهنا تأكدت من خلال ضحكته الدامعة أنه أحب حتى الموت.. ولكن أنثاه كانت متقنة لدور العاشقة.

عاشقة كاذبة لعبت دورًا رائعًا في حياته وهربت كالجبناء.

ومن يتقن لعبة الحب الكاذب.. أو "**بيمثل الحب**" لا يحتاج أن يبذل مجهودًا في علاقته بك.

لأنه يعرف أن وجوده في ساحة حياتك أمر مؤقت.

يعرف أنه "**لص**" سينهى مهمته بمهارة عالية في القضاء عليك وسرقة أغلى ما تملك من مشاعر صادقة ليفر بعدها هاربًا إلى دنياه البخسة المريضة.

لأنه في الأصل يحمل نفسًا مريضة لا علاج لها ولا دواء.

إن الذي يتقن كذبه في الحب يخفى خيبته بالنفاق طيلة الوقت معك.

أقصد هنا نفاق الاهتمام.. فهو يلعب دور المهتم.

يصاحبك لفترة زمنية سالبًا منك قلبك وعقلك ووقتك.. وهو فقط متلقي. وعندما تكون أنت في حاجته يومًا ما فلن تجده؛ يتبخر.. يكون أبعد الناس عنك حينها.

أليس منافقًا؟.

لا يشعر بألمك وأوجاعك إلا إذا شكوت له أمرك.

وإذا لم يحدث فهو أصم وأبكم.

ليس انعدام شعور بقدر ما هو تبلد عاطفي.

أليس "**كومبارس**" في مسرحك؟ لا يحمل لك أي عاطفة حقيقية.

عليك أن تواجه الحقيقة المريرة بأن هذا الكومبارس لا تشغله تفاصيلك سواء الصغيرة منها أو الكبيرة؛ لأن في الأساس.. جميع اهتماماتك وأهوائك وميولك ليس على استعداد أن يجهد نفسه في التعرف عليها..كما فعلت تلك الفتاة التي لم تعجز عن معرفة اهتماماته.. بل لم تلق لها بالاً منذ البداية.

ومن يحب.. تراه منشغلاً حتى بأتفه تفاصيلك، وغير ذلك فهو كاذب.

محاولة هنا أن أرصع له الحقيقة ببعض الماس البراق ولكنني أفشل.

- الكومبارس ببساطة بايع القضية وشايفك «**لقطة «.. شايفك حد «كيوت**» يعرف يحب ويتحب.. الوقت معاك لذيذ مش أكتر.

هو مصدومًا ورافعًا كلا حاجبيه.

- مممممم... وقتها كان معايا لذيذ !!!!!

- أيوة كانت أنانية.. اهتمت.. امتلكت.. أخدت.. وبعد كده باعت.. الكومبارس فاشل جدًا يا عمران في أى اختيارات في الحب.. مزيف.. متصنع.. مراوغ.. أناني من الدرجة الأولى

هو ساخرًا.

- يعنى الموضوع أتعقد زيادة كده.. مش هاحب ولا هتحب طالما مش عارف افرق كده

أقاطعه فى عجالة شديدة.. مستنكرة رد فعله.

ـ لالالالا الموضوع بسيط أوى.. ميز بين اللي بيحبك فعلاً ومستعد يقضى عمره كله فى انتظارك ويتحملك وبين اللي مش فارق معاه حضورك من غيابك.. فيه كتير بيعرف يحب ويعرف يعيشك لحظات ومشاعر حلوة بس مؤقتة.. لكن مش كتير اللي بيعرف يكون مسئول قدام الحب ولا جدير بكده ولا يستحق حتى يسمع منك كلمة «بحبك «

وبعد تنهيدات ودقائق نرتشف فيها بعضًا من العصير الذي كان طازجًا منذ قليل ولكنه يئس من الجدال بيننا فتغيرت نكهته متأثرًا بمرارة الحقائق التي تفوهت بها.

ـ نصيحة.. غلى نفسك ما ترخصهاش.. أنت مش حقل تجارب

عليك أن تتشبث بأولئك الذين يجعلونك في أولوياتهم.. الذين تتصدر عندهم المقام الأول في كل شيء..

أولئك أصحاب الجمال الداخلي الذين لا يتغيرون على مدار العمر.

في مرحلة ما سيصيبك الثبات.. وكأن الثبات مرض معدي، وكأنه فيروس يصيب أصحاب الذاكرة القوية.

الذاكرة التي لا تموت.. التي يحسدونها على الانتباه واليقظة.

فقد تعودوا أن يحقدوا دائمًا على أصحاب الذاكرة القوية وكأنهم فى نعمة.

حقًا الذاكرة نعمة.. ولكن عندما تقودها أنت.

أما حين تقودك هي.. فلا شفيعا لك ولا نذيرا، ولا منقذا. مقتول لا محالة.. تقف على حافة الزمن مرهونًا بالألم، أما النسيان فهو نعمة عظيمة لم يكتبها الله للبعض..النسيان جائزة كبيرة ينعم بها القليل من الناس، ولكنها ليست من نصيب الممزقين وجدانيًا.. المحلقين في سماء الوجع.

لا يسقطون فينتهي أمرهم.. ولا يرتفعون فيعلو شأنهم.

معلقون في أحبال القدر.. في انتظار دائم لأمر الأيام.

إما أن تقطع عهدًا معهم بالسعادة.. أو تقطع أملهم في النجاة من الواقع، والواقع لا يرحم أحدًا.. إن أحببت بشدة لن يرحمك. وإن أفنيت عمرك من أجل أحدهم لن يرحمك، وإن صببت تضحياتك صبًا وكتمت وتحملت لن يرحمك.

الواقع لا يتصف بالرحمة.. خلق الواقع ليضعك في مأزق الوجود وعدمه؛ تتوحد في أحدهم فيشملك باختلافه وعطفه وإما أن يصفعك ليرد كمهزوم من دنياه.

ليست بنظرة سوداوية.. إنما هي مواجهة لحقيقة سفرك ورحيلك العجيب في الأمر أننا رغم ما نعانيه من الأيام إلا أننا قادرون على بث روح الهمة في المقربين إلينا، نكون عظماء جدًا عند النصح والإرشاد والوعظ، كأننا أصحاب حكمة عظيمة لا تنهزم.. نملك من الثبات الانفعالي ما يساعدنا على الاستمرارية، بل نملك صبر صياد ونغفل دور المجني عليه.

نحن حقًا كاذبون على أنفسنا وعلى أقرب الناس إلينا، ندعى العظمة والحماس والقدرة والبقاء.. ندعى النسيان أيضًا..

كاذبون..

فهل تنسى متى كانت آخر مرة بكيت فيها بحرقة؟.

هل تنسى طعنة أقرب الناس إليك؟ هل تنسى آخر كلمات لأحدهم والتي نزلت على رأسك كالصاعقة.. فحطمت ثقتك فيه وحبك له؟.

هل تنسى كلماتها التي لها مفعول الخنجر؟ أبدًا..

كاذب، ولكنك على النقيض لا تتذكر آخر مرة ضحك فيها قلبك.

آخر مرة ركضت فيها كالأطفال مبتسمًا.. ذاهبًا لعناق أحدهم اشتياقًا ولهفة.

لا تتذكر آخر مرة أكلت فيها شيئًا مفضلاً.

قد لا تتذكر طريقًا رائعًا مشيت فيه.. ممسكًا بيد أحدهم وأنت فى أسعد لحظاتك معه.

نحن ندعى وندعى.. ولا نقول الحقيقة كاملة.

(من يدعى النسيان كاذب.. ومن يدعى القوة هش.. ومن يتظاهر باللامبالاة هو أكثر الناس ألمًا).

لا تصدقوا الوجوه.. هي أكثر الأشياء خداعًا وتضليلاً.

في ذات يوم تعج الشوارع بالأشخاص المسرعين نحو عملهم كمن يجاهدون في الحرب، منهم من يلحق بالحافلة ومنهم من لا يلحق بسيارة عمله ومنهم من يصارع الشوارع ليعبر الطريق، ومنهم من يذهب للمطاعم

حاملاً فطورًا له وللأصدقاء، وهناك من لا يمانع في الجلوس على المقاهي باكرًا ليحتسى أكواب اللامبالاة، غير مبال بأي صباح وبأي زمان وبأي شهر وبأي موسم للأجواء هو..

منهم من ضل طريقه وضل صديقه أيضًا.

في وجود الناس صباحًا.. باستطاعتك أن تعرف كل شيء من أصحابه.

كيف قضى ليلته.. هل نام متأخرًا.. أرهقه السهر..

احتسى مشروبه الدافئ واحتضن وسادته مبكرًا.. متوكلاً على الحي الذي لا يموت؟.

كان هادئ البال أم لا.. ذهب في سبات عميق أم أكله الأرق؟.

في وجوه بعض الأشخاص.. بإمكانك قراءة ما خلف النظرات وخلف الخطوات أيضًا.

باستطاعتك أن تعرف عاشق القهوة وكارهها. محب الاستيقاظ باكرًا وكاره الصباح. المرغم على النهوض.. والمسافر.. والمهاجر.

في الصباح تتنوع الوظائف والأدوار والتوجهات والأهداف والطرق أيضًا.

كنت مليئة بالنشاط لمقابلة (**كرم**).. صاحب أجمل ابتسامة خلقت لرجل من هذا الطراز. كلاسيكي التصرف.. أوروبي الانفعال.. باريسي الأنفاس.

توالت اللقاءات بيننا وتعددت المواقف الآسرة للقلب أيضًا.

أعترف أنه سلب عقلي بأكمله.

أسوأ الأشياء – بل أعظم الأخطاء – التي قد يقع فيها أحدنا أنه حين يحب فهو يترك عقله وشأنه.. نترك الآخر ليسلبنا عقلنا – بل قوتنا.

فالعقل قوة.

نستغني – كامل الاستغناء – عن قوتنا التي منحنا الله إياها، حين نحب بكل قلوبنا.. على الفور نتخلص من عقولنا بمحض إرادتنا ماكرون.. يروق لنا هذا، والحق يقال.. فنحن لا نتعلم، لا نتعلم الدرس أبدًا.. نظل في حالة هذيان حتى نصل إلى الإغماء.

نظل سكارى باسم الحب..

وتتوالى الوعود من (**كرم**) بدوام بقائه حولي كظلي..



طفل ديانته أنا

هو عالمك وحدك.. دنيا تعيشها وحدك.. طريق تسير فيه وحدك.

لن يحتملك أحد.. ولن يحتمل تدميرك أحد.. ولن يشكو أحد ضعفك.

وحدك تتولى أمر نفسك.. تعانقها وتتوسل إليها بالثبات.

ترجو من روحك السكينة.. والعودة إلى ساحة هدوئك.

لم أكن أعرف أنه يعد لي مأدبة من الجراح.. وبيتًا من الأمل ثم يقوم بهدمه فوق رأسي فيما بعد.

أحببته لأنه يختلف عن جميع الرجال.. كلامًا وفعلاً.

إيماء وهمسًا.

ولأنني أنثى لا تقبل بالمتاح أبدًا.. وخلقت أرجو المستحيلات.

لا أقبل إلا برجل يتنحى عن ريادة قلوب النساء إلا قلبي. رجل يصنع معي الحضارات، فعيوني حضارة.. ووجهي حضارة.

لا أقبل إلا بالإبحار في شريان رجل يسكن في مرفأ عيني ليعيد لي صناعة الأشعار.

لا أقبل إلا بفارس يجلس تحت شرفتي ليلملم الياسمين ويصنع لي طوقًا من الأسرار.

اشترطت عليه.. نعم كنت أشترط الاختلاف.. أشترط الجنون.

أخبرته أنى لا أقبل إلا بعينين تشرق منهما الشمس على استحياء وترفض أن تغيب في حضرتي.

ترفض الفراق.

لا أقبل برجل يجمع بين كفيه الفصول معاقبًا الأعوام التي مضت بدوني.. منشغلاً كيف يلقاها.

حقًا كان مختلفًا..

كان مهتمًا بصلوات عيني.. يتتبع موسيقاها خاشعًا.. يجلس في ركنيها حارسًا إياها.

أنا أنثى لا تقبل إلا برجل عائد من مدن البكاء. يشكو من الغرباء متأثرًا بجراح كربلاء؛ لآخذ بيديه إلى موطنه الجديد بصدري.. حيث يكون الشفاء.

ذات مرة فى لحظات مزح.. أخبرته أنى أريد أن أقوم معه برحلة إلى المحيط.

لنتجمد مثل أبطال "**تيتانيك**" ونموت معًا..

لا يموت كـ "**جاك**" وتكمل "**روز**" حياتها.

حينها ضحك بشدة وقبل يدي وشكرني ساخرًا.

- يعنى أنتي رأيك إننا نموت سوا.. يعنى لو هتعملي الفيلم ده في الواقع مش هتخلي «**جاك**» ينفد بجلده من الموت؟ يعنى مكتوب عليه يموت في الفيلم وفى الحقيقة؟

تعلو صوت ضحكاتنا مرة أخرى.

- يعنى أنت عايز تكمل حياتك و «**روز**» تموت بقى

- لا يا ستى ربنا ما يجيب موت أبدًا.. يا رب نعيش أحنا الاتنين والمخرج هو اللي يموت.

وتتواصل الضحكات.

له ضحكة بيروت ورقة دمشق.

رجل في عظمة القدس.. وضجر بغداد.

على يديه تولد عصور للشرفاء.

سيدي.. أنا لا أقبل إلا بمقاتل يرتكب الجنون ممسكًا بشعري الأسود ليستريح في عتمته مسافرًا فيه. سائرًا على ذراعيَّ.. محتسيًا قهوته في صباح باريسي بداخل قلبي؛ متعطشًا للسباحة في نهر عيني.. غير عقلاني.

فهل تسمح لي أن أتمشى في غابات عينيك.. مرتدية أوراق أشجارك لأعانق إعصارك.

مستلقيًا أنت فوق بحر شفتاي؟.

فأنا لا أقبل إلا بعاشق مجنون.. لا يتلقى الأوامر إلا بين ذراعيَّ، فيقضى عمره في أنسجتي.. متغلغلاً كخنجر في ضلوعي؛ مستمتعًا بقراءتي.. هادئًا منصتًا لشفاهي كأمسية شعرية.

لا أقبل إلا بطفل أعانقه في غمرة عذرية.

طفل مدلل.. يأبى أن يتعلم الفرنسية إلا فى أنفاسي. ويحترف الإنجليزية في رشفة من كأسى؛ طفل أعلمه في عشقي كيف تكون الأنانية. طفل ديانته أنا.. معبده أنا.. طقوسه أنا.. يتربى على يديَّ أنا.

ذات يوم أخبرني أنه تألم بعد موت قصة حب قاسية عاشها مع زوجته التي تزوجها بالخارج وقال أنه انفصل عنها للأبد.. حيث عانى كثيرًا في حياته معها محاولاً أن يشدها إلى عاداته وتقاليده، ولكنه فشل.

فقد أبت أن تكون نسخة من الشرقيات اللاتي يجتهدن كثيرًا في الحصول على قلوب الرجال.

كنت أصغى لآلامه بمنتهى الإخلاص وأخبره أنى لست بملاك.. أقسمت عليه أن يحبني في أسوأ حالاتي حتى لا يمل ولا يهرب ولا يخيل له في يوم ما أنني سأكون مثل سندريلا.

أريدك أن تحبني حينما أكون في أسوأ حالاتي.. حين أغضب لأتفه الأمور.

حينما أغار كالمجانين.. حين أحتلك كبيت المقدس ولا أسمح لامرأة غيري بالصلاة في محرابك، أو الانتظار على أعتابك..

حين أبكي كطفلة فقدت أبيها في القصف وارتمت بأحضان وطن حزين.

أريدك عمرًا لا ينتهي برصاصة طائشة.

أريدك أن تحبني حين يكرهني الجميع.

في لحظة معاركي وثوراتي.. واشتعالي واحتراقي.

أريدك أن تحبني في لحظات الحرب.. لا في لحظات السلام.

الكل يحبني ملاكًا.. أريدك أنت أن تغرم بذاك الشيطان الذي يتفقد أنوثتي؛ رافضًا أن تجتاحني قوانين بشرية.

أريدك أن تحبني طائشة.. مجنونة.. محتالة.. مخادعة إذا لزم الأمر.

تحبني مراوغة كأفعى سامة.. تلتف حولك لتروضك.. تطعمك الهوى قبل أن تنقض عليك لتفترس أحشاءك.

أريدك يا سيدي أن تحب ما يعيبني.. لا ما يمجدني في نظرك.

ما يقبحني.. لا ما يجملني.

فهل باستطاعتك أن تعشق القبح بداخلي قبل الجمال يا سيدي؟.

كان بيني وبين مأدبة الجروح "شهية ".. شهية روح إلى النضال من أجل رجل لا يعرفني كما ينبغي.

والحق يقال.. أنني أنا التي لم تعرفه كما ينبغي.

كان رائعًا في تقديم الهدايا الثمينة اعتقادًا منه أن الهدايا فخ أنيق لجذب الجميلات.

كان يرى هداياه إغراء لا يقاوم.. ولا يمكن لأنثى أن ترفض كل تلك الإغراءات الفارهة.

كان يفترش الورود في طريقي إلى لقاءه.. وكأنه على موعد مع امرأة من نور لا من طين.

جميلة هي الدنيا حين تحتضنك وتحتضن تلك التفاصيل التي قد لا تنتبه إليها. ورائعة جدًا حين تستوعب ملذاتك وتعانق رغباتك التي لا تحكى عنها لأحد، ولا يمكن أن ترويها لأحد. ولكن رغباتك تظل عالقة في صدرك.. تشتهى لو تحققت رغم عمق مبادئك ونضج مشاعرك.

فقد تظن أن نضج المشاعر جريمة في حق نفسك.

تدعى الفضيلة ولا تقوى على تنفيذها.

جميلة هي الدنيا حين تأتيك بالشخص الذي لطالما حلمت به وتمنيته.

من الحمقاء التي ترفض رجلاً ينسج العشق من عقود الياسمين فوق شفاه أبت جميع قبلات العالم إلا قبلتها.

من تلك الغبية التي ترفض السكنى على كوكب كما قال "نزار قباني".

ولكن تلك الغبية توهمت..

فكلما كان يهديها الحب كانت تظمأ أكثر..

تتعطش للقاءه أكثر لتروى له آخر موقف حدث لها خلال ساعات وآخر مزحة قد سمعتها.

كانت تود لقاءه كل دقيقة لتشرح له كيف كان الوقت في غيابه يمر.

"**يهديني قصرًا من وهم لا أسكن فيه سوى لحظات.**

وأعود لطاولتي.. لا شيء معي سوى كلمات".

ففي يوم ضاق صدري من اختفائه المفاجئ.. لم يعتد الغياب من قبل.

لم يعتد الاختفاء.. بل كانت عيناه تقسم على البقاء دائمًا وأبدًا.

كان غارقًا في بحري، أو لنقل.. كان يغفو بين يدي كعصفور فارقه أصحابه ولم يجد سبيلاً سوى احتضان أصابعي.

أين اختفى؟ أأذهب له؟ وكيف؟.

لم أجرب يومًا أن أبحث عن أحد، فكبرياء الأنثى يقيها أحيانًا من الوقوع في الخطأ.. لا لم أتعود الركض خلف أحد أو اللحاق برجل، فأنا أؤمن جيدًا بأن النساء خلقن للبحث عنهن؛ ليبحث الرجال عن قلوبهن بلا كلل أو ملل. دون أي نزاع أو منازعة، فالمرأة ليست مخلوقًا عاديًا.. مرهفة جدًا.. مرهفة الحس والتصرف.

الأنثى عاشقة لما يثير كامن الشعور ويوقظ هاجع الإحساس.. ولكن بإرادتها..هي ليست ماهرة في الحب.. ولكنها عبقرية في الاختطاف.

أقصد هنا "**الأنثى الحق**".. تثير لديك الشغف لاكتشافها وتترك لك منفذًا واحدًا لمعرفة جزء من أسرارها، ولكن هيهات..

فالخروج من الجحيم ليس أمرًا هينًا..

تجعلك تقع في الأسر..

هي لا تلقى كافة الأسلحة أمامك.. تصنع منك جنديًا في معاركها، فكما أن المرأة لا تنسى ألمًا أو جرحًا.. فهي أيضًا قادرة على الفتك بك دون أي لجوء للانتقام..

النساء لا يغفرن الكذب.

ولماذا لا أتخذ تلك الخطوة فأذهب إلى هذا الفندق الذي أعطاني عنوانه لأسأل عنه.

فقد مر على غيابه أكثر من عشرة أيام.

ربما يكون مريضًا.. أو تواجهه بعض المشكلات.

ربما يحتاجني إلى جواره..

هل نسيت في يوم من الأيام أنه قال لي "**أحتاجك**"؟.

فالحب هو ألا أنتظر طلبك بالاحتياج لي.. بل لا أنتظر أن تفكر كيف تجدني، وإنما تجدني فور غيابك.. فور اشتياقك.

فور حضورك.. وفور صمتك أيضًا.

العاشق هو خير منصت للحب.. خير مجيب للاحتياج.

العاشق هو خير محتل.

أن أحتلك دون أن تشعر.. أن أستوطن روحك دون أن تطلب.

أن أنتصر لأجلك وأهزم لأجلك.. أن أقتل وأُقتَل.

الحب هو أن تجدني قبل أن ترجو ذلك.

إذن سأذهب.. ما الذي سيحدث لو ذهبت.

ربما كان في حالة إعياء شديدة ولا أحد معه كما فهمت من حديثه معي، والحقيقة أنني أفتقده جدًا.. فهو الذي كان يضحكني في أشد أوقاته حرجًا وضيقًا.

ربما كان في حاجتي لأضحكه وأخفف عنه آلامه.

وفى لحظة وصولي للفندق ترددت لثانية.. فماذا أقول لمسئول الغرف.

ماذا أقول لهم في بهو الفندق.

كيف لي أن أسأل؟ وبأي صفة؟.

فلأجرب.. لن أخسر شيئًا.

كنت أشبه في هذه اللحظة الدولة المستعمرة.. كان يدق فى صدرى ناقوس الخجل والارتباك.

وجدت أحد الموظفين لأسأله.

ـ من فضلك كنت عاوزة أسأل عن أستاذ كرم.. هو مقيم هنا في الفندق؟

ـ آه يا فندم.. لحظة اتصل بيه

ـ لالا من فضلك.. إسمح لي أطلع بنفسي.. عرفني رقم الأوضة عشان عيد ميلاده قرب ومعايا هدية عايزة أفاجئه بيها فما تضيعش عليا الفرصة دي.

- إذا كان كده هبعت حد معاكى حالا.. بس ياريت حضرتك تسيبى بطاقتك الشخصية أو جواز سفرك أو أى شئ يدل على هويتك

- آه طبعًا.. أتفضل

أخرج هويتى وأعطيها له.

- أتفضلى يا فندم.. معاكى موظف هنا هيطلع معاكى.. أوضة رقم (٢٢)

في صعودي بالمصعد تحجرت قدماي.. كاد قلبي أن يقف من شدة الاضطراب من تصرفي هذا. لماذا طلبت أن أصعد إلى غرفته. لماذا لم أنتظره فى بهو الفندق حتى يخبروه هاتفيًا بقدومي؟.

ولماذا كل تلك الأسئلة العجيبة.. ربما أحببت أن أباغته. فما هي المشكلة هنا إذن؟.

ينظر لي الموظف.

- وصلنا يا فندم.. أتفضلي

ويفتح باب المصعد.

- أوضة رقم ٢٢.. رابع أوضة على الشمال

تركني الموظف ونزل.

وقفت للحظات أتفقد أرقام الغرف.. فندق ضخم من الفنادق غالية الثمن.. وممرات الغرف فسيحة.

وجدت الغرفة أخيرًا وتوقفت أمام بابها بضع دقائق غارقة في قلقي ومنهكة من شدة الارتباك.. أتصبب عرقًا وهديته في يدي.

لا مفر.. سأجرب.

وضغطت زر الجرس.. وانفتح الباب بعد دقيقة أو أكثر.

ويا ليته ما انفتح.. ليته ظل مغلقًا.

ليتني لم آت من الأساس.

في لحظة نسيت ما الذي جاء بي إلى هنا.

لم أتذكر سبب مجيئي وسبب صعودي.. ربما نسيت إسمى، فللوهلة الأولى لم أر سوى غشاوات الدنيا أمامي. وربما أيضًا شلت قدماي.

فقد فتحت الباب امرأة يبدو عليها الثبات.. بارعة الجمال.. ترتدي "**روب**" شبه عار.. ذات شعر أصفر طويل وعينين واسعتين كما يقولون "العود الفرنسي الجذاب ".

وإذ به يأتى خلفها راكضًا قلقًا.. محاولاً التماسك أمامي.

يرتعد هو من هول المفاجأة...وأرتجف أنا من فاجعة الصدمة.

- أتفضلي يا عنان.. أتفضلي ادخلي.. دي ليندا مراتى.. وصلت من لندن بقالها أسبوع.. آسف أنى اتاخرت عليكى فى الاتصال

وتخرج كلماتي بمنتهى الصعوبة.

- أنا اللي آسفة جدًا على إزعاجكم

وفى لحظات أفكر فى كذبة مقنعة من شدة الارتباك الذي يمزقني.

- ليا صديقة واخدة أوضة في نفس الدور.. وكانت عازمانى على الغدا.. يظهر إني اتلخبطت في رقم الأوضة.. مش دي رقم ٢٤؟

لحظة أنظر فيها على الباب وكأنني أخطأت بالفعل..

وأتلعثم.. وكل ما فيَّ توقف عن الحركة.. بل عن الحياة.

- معلش أنا آسفة.. ما خدتش بالى أنها ٢٢

وأعتذر لزوجته في أدب.

- Sorry , Madam

وأرجع خطوة للخلف لأستأذن في الرحيل.

- انت كنت بتعلقنى بيك عشان تشرح لي؟ كنت بتوعد عشان آجى واشوف بنفسى؟

يستغيث في ثوب حقير من الزيف المبعثر.

ألق بالهدية التي كانت له لأقرب سلة قمامة وجدتها يدي..

- عنان..صدقيني أنا وهي إحنا شبه منفصلين.

- وانفصلتوا من سنين.. مش ده اللى قلتهولى؟ منفصلين بروب شفاف في أوضة واحدة؟ وكمان بقالها أسبوع وللا عشر تيام مكلمتنيش فيهم وعمالة ألتمس لك أعذار.. يمكن عيان وللا عنده مشاكل

هو "**واضعًا يديه على خصره وناظرًا لى بغضب دون أن ينبس ببنت شفة.**"

- أشكرك انك كتبت النهاية الرخيصة دي.. نهاية قديمة أوى ما بقتش موجودة من أيام أفلام الأبيض واسود.

وكاد قلبي يطير من صدري حزنًا.. كدت أختنق وأنا أسير متعثرة الخطى.

في لحظة أصبح النهار ليلاً في عيني.. وقد انطبقت السماء على الأرض.

هل فرغ العالم من الرجال ليغدو هذا الرجل ابتلائي الوحيد؟.

على مدى أشهر.. أسعدني وافجعني أيضًا، دللني وحطمني في نفس الوقت.. عانقني وخذلني في آن واحد.

هل فرغ العالم من الناس؟ هل صرت وحيدة فجأة؟.

ولماذا هذا الشعور باليتم؟ لأول مرة شعرت به بعد وفاة والديّ؟.

بالوحدة.. بالفقد.. بل بالخيبة.

هل أخطأت حينما صدقت كلماته الكاذبة ووعوده الخادعة.

أم أخطأ هو حينما زيف لي الواقع، حين كذب على وأخفى عنى أن زوجته ما زالت تعيش معه وهو قد ادعى أنهما تفرقًا منذ سنوات؟.

هل الجرم في قلبي حينما أحبه بكل حماقة؟.

أم الجرم في عقلي حينما لم يقدر على إقناعي بالعودة من تلك الرحلة الحزينة؟.

كيف استطاع أن يخدعني؟ كيف استطاع أن يترنح بين كفيّ.. مستلقيًا بلا مبالاة وبلا طهر؟.

فقد أقسمت عليه أن من يحبني يجب عليه أن يتوضأ في محرابي.

عليه أن يتطهر أولاً لينال شرف عناق قلب كقلبي.

كيف استطاع خداعي وأنا بهذا الكم من النضج.

بهذا الكم من النصح للآخرين.

أي نضج هذا الذي ضيع كرامتي.

فكيف لأنثى ناضجة أن تنخدع !!!!.

هل الأمر يسير إلى هذا الحد؟.

كيف لم يحمني النضج من الحب.. كيف لم يستطع لملمة أوراقي المبعثرة فوق جثمان الزمن الذي طالما رفضت أن يشاركني الحب في يوم ما؟.

وفى الحقيقة الحب لا يؤلم أحدًا.. ولكن النضج مؤلم.

مؤلم بحجم خيباتك في الآخرين.. مؤلم بحجم توقعاتك الساذجة.

وطفولتك العابثة الطيبة.

مؤلم بحجم هزائمك.. وانتهاك حقوق روحك.. وصدمتك وعمق توهجك العقلي والوجداني.

الجميع يتوهم أنك قد كبرت وفهمت واستوعبت ونضجت.

بينما في حقيقة الأمر أنك احترقت؛ احترقت حينما وثقت فيمن يحترف التلاعب بك، حينما وثقت فيمن يجيد استخدام مشرط الذبح في وريدك بلا رحمة.

النضج يا سادة ينتقى المتعبين الجالسين وفى أحضانهم ترتعد الأيام من فرط الضربات المتلاحقة.. فرفقًا بهم.

وإذا بهاتفي يدق بصراخ صامت مذبوح لأقول له في نفسي "كف عن الدق.. كف عن الصراخ.. فلم تعد هناك عافية للرد على أحد ".

لعنة الله على هذا الجهاز الذي لا يأتي إلا بالوجع اللذيذ.. المليء بالأمل المسكوب على جدران الألم؛ قادر هذا المحمول على بث السعادة المؤقتة.. وقادر على بترها أيضًا. فكما كان اتصاله بي في وقت ما دواء.. أصبح أيضًا هو الداء.

فلماذا نحتمي دائمًا بمن يجيد بتر سعادتنا..

لن أرد.. ولن أجيب..

تتأرجح خطواتي وكأنها تعود إلى الخلف لا إلى الأمام.. أشعل الضوء وأطفئه.

ويضيق اتساع الغرفة.. وكأنني في مقبرة لا في غرفتي التي اعتدت الحياة فيها..أنظر لساعة الحائط القديمة المعلقة.. أغلق بابي جيدا لكي لا تشعر بي خالتي..أراقب عقرب الثواني والدقائق في ترقب وحيرة وحزن..آلاف من التساؤلات تدور بداخلي..تصارع روحي..

يدق الهاتف ثانية.. سأرد لكي وأسبه..

لالا.. فالسب ضعف.

- ألو

- أنا آسف انى اتأخرت عليكى في الشرح.. في التوضيح.. في الغياب.. أرجوكى متقفليش

- إنت ما اتأخرتش في التوضيح ولا حاجة.. أنت أضعف من إنك تكون بنى آدم أحترمه لحد النهاية.. افتكرت انك استثناء نادر جدًا في حياتي.. الرجولة وضوح مش جبن.. وللأسف أنت كنت أجبن من إنك تعترف لى بأى حقيقة.. كنت معتبرني أنثى احتياطية للغرام

- عنان أنا حبيتك بجد.. حبيتك لدرجة إني كدبت.. خفت أكون صادق لا أخسرك.. خفت أقول إن مراتي لسه على ذمتي لا تضيعى منى.. أنا وهى شبه منفصلين.

- الكارثة مش في إنكو شبه منفصلين وللا مكلمين.. الكارثة إني كنت غبية عشان اصدق إن فيه راجل وفى.. وللا خلينى ساكتة أحسن عشان ما بحبش الغلط

ويحاول بشتى الطرق أن يحنو فى كلماته طلبًا للغفران.

- أرجوكى سامحينى.. إغفرى لى جهلى وغبائى وكدبى عليكى

- أغفر لك؟ أسامحك؟ ليه هو أنت مثلاً نسيت معادك معايا وجيت متأخر؟ وللا دوست على رجلي، وللا وقعت موبايلى

فكسرته غصبن عنك؟ من أمتى شروخ القلب بتتغفر؟!!!!

هل في مقدرة البشر العفو عن القاتل؟.

بالمناسبة سأروى لكم قصة قصيرة لإحدى صديقاتي المقربات لقلبي ممن قتلهم الحب أيضًا.

كانت تعشق حد الجنون.. بل حد الهوس.

فراشة تلاحق الأزهار المعطرة بالأمل.. وجاءها المحب ليقطع لها وعدًا بالحياة؛ إلى أن أطفأ في عينيها الحياة.

كان مهووسًا بها هو الآخر – على حد قولها – ولكنه كان مرغمًا على الهرب.

على الطيران.

كان مرغمًا على السفر خارج البلاد.. حيث كان والده مقيمًا في إحدى الدول العربية "**لبنان**".. وكان مرضه شديدًا ويريد لابنه أن يكون بجواره.. فاضطر أن يسافر ليكون بجوار والده المسن.

أقنعها أن عليه التضحية بعدة شهور ليبقى بعيدًا عنها.. ولكنه ما زال على العهد بأن تكون زوجته خلال عام أو أكثر كما وعدها.

فهم قد عاشا منذ لقائهما في الجامعة أروع قصة حب جمعتهما خلال أربع سنوات أو أكثر.

وفى العام الخامس.. وعدها بالزواج.

إلى أن اتصل به بعض الأقارب في لبنان ليخبروه بأن والده في حالة صحية سيئة ويريد رؤيته على الفور..

فالتمست له العذر وأخبرته أنها ستنتظره أعوامًا.. لا عام واحد بل ألف عام.

شريطة أن يبقى هو على العهد.. فالعهد أمانة لصادقي الكلمة.. بل صادقي الأفعال؛ حاملي الحب في قلوبهم كوديعة.. وديعة ربانية أودعها الله في قلوبهم ليحافظوا على هذه النعمة الكبيرة؛ فالحب نعمة لا يقدرها سوى الأتقياء.

انتظرته كثيرًا وكان على اتصال بها.. تواصل معها كثيرًا، لعدّة أسابيع وشهور.. كان يقسم عليها أن تنتظره وألا تنساه، وأنه باق على الحب.. ولكنه فقط يحمل أعباء العمل بدلاً عن أبيه المريض، فكانت تقتنع بسذاجة.. مودعة له في كل مرة بقولها "هستناك".

ومر العام تلو العام.. وهى تعيش على أمل عودته لها ليستوطنها من جديد، ولكن الخيبة هذه المرة لم تكن سهلة الحضور، فقد انقطع تواصله معها بعد عدة شهور من سفره إلى أبيه.. وكانت المسكينة تبرر له الغياب، وتبرر له الانقطاع.. بحجة أن والده ما زال طريح الفراش، فقد انشغل بمرضه لذلك لم يعد يتواصل..

كنت أخبرها دائمًا أن الذي يحب لن تشغله حتى النيران المشتعلة لو كان يصطلي بلهيبها.

الذي يحب لن يتخلى عنك حتى لو كان على فوهة بركان..

لن يتخلى عنك ولن يترك الأيام تنهش في جسد الحب الذي صنعتاه بمحض إرادتكما.

من يريد التقرب منك سيسعى.. ومن يريد الحفاظ عليك سيفعل، ومن يحتاجك في حياته يعرف أين وكيف يجدك.. وكيف يسطو على مملكتك ويحتل عاصمتك.

من يحبك لن يغيب.. لن يتخلى عنك.

من يحب لا يقسو.. لا يمل... لا يهمل.. لا يفارق ولا يخادع.

من يحب لا يختبئ خلف أعذار واهية مصطنعة.

من يحب يحارب.. فقط من يحب..

فى آخر مكالمة له معها كان يحاول أن يخبرها بالملل.

الملل من العهد الذي قطعه لها..

ولكن المسكينة لم تقهم ما بين السطور.

لم تفهم ما خلف الكلمات..

- ألو.. نائل أنت بخير

- بخير يا حبيبتى.

- يااااه يا نائل.. أنا كنت قربت أنسى الكلمة دى.. نفسي أسمعها وأنت قدام عينى وأيدك حاضنة إيدى.. كان نفسي تكون قدامى حالاً وأنا برد لك أضعاف الكلمة دي مليون وحشتني ومليون حبيبى

وساد الصمت..

لم تكن تلك المرة الأولى التي زاد فيها صمته..

والصمت إذا حضر مجالس العاشقين إما ذابح للوتر أو عازف للحن الشوق بينهما.

إما أن يكون تمهيدًا للوداع.. أو تمهيدًا لعاصفة من العشق عاتية.

وأحد الطرفين إما أراد للحب حينها أن يظل حيًا.. أو قام بإعداد كفن للحكاية. فربما يقوم من خلال صمته بغسل جثمان الضحية الأخرى ليعد لها حفل وداع يليق بها، ومن ثم يقوم بالدفن بعد أن يتأكد تمامًا أنه قد ترك تلك الذبيحة بلا أنفاس، وبلا أسلحة تدافع بها عن نفسها.

من ينوى اغتيالك لن يستأذنك.. ولكنه قد يترك خلفه بصمات للجريمة لا تراها العين المجردة.. ولا ترى بالقلب أيضًا.

إنما ترى بالشعور..

ولكن تبًا لغبائنا.. فهناك دائمًا شيء اسمه "التدرج ".

هذا التدرج في العلاقة قد يكتشفه البعض ويثأر لكرامته، وقد لا يكتشفه الآخر ولا يقرأ ما بين سطور هذه العلاقة.

وهناك الأحمق.. الذي يقرأه ويتغاضى عنه متحججًا بلوعة قلبه وبأنه ليس في استطاعته الرحيل مهما بدا له من المحب من قساوة أو تغير. ولكن صدقًا.. لا شئ يمر عليك عبثًا..

التدرج في المعاملة.. انتهاء الاهتمام.. اختفاء العتب.. جفاء المحبة.. نفاق المشاعر.

لكل فعل سيئ ردة فعل أسوأ منه..

لا يبتعد أحدهم عنك فجأة.. ولا يغيب عن حياتك صدفة.

ولا يتغير أحدهم عليك عمدًا.. إنما كل شئ بمقدار وتدرج.

ستلاحظ إهماله لك.. ستلاحظ صمته بين الحين والآخر.

تلاحظ أيضًا أنه بدأ يقلل من جرعات الحنان والخوف عليك.. بل يقلل فى جرعات الود أيضًا.

فكن ذكيًا وتتبع تغيره وتحوله وانتبه له جيدًا من خلال "ترمومتر المشاعر".

كن ذكيًا في الحب.. وألا انهار معبدك وتهدم فوق رأسك.

يعاود حديثه البارد لها.

- أنت ليه ساكت كده؟ مفيش كلمة «وحشتينى»؟ مفيش أنا جاي قريب؟ مفيش أنا نفسي أشوفك؟

وهنا أخطأت منى حينما كانت تتوسل وتتسول الاشتياق والمحبة.

- آه طبعًا وحشتيني.. يمكن أطول هنا كام شهر كمان.. مش عارف.. بابا مش بيتحسن صحيًا وبيترجانى أفضل معاه فترة كمان.. الشغل كله فوق دماغي.. سامحينى يا منى.

- أسامحك؟ أنا ما بزعلش منك عشان أسامحك.. بس فعلاً أنا تعبت من غيرك.. تعبت من كتر الانتظار.

وقبل أن تكتمل كلمة (**الانتظار**) إلا وقاطعها.

ـ في أقرب فرصة هكلمك.. مع السلامة مؤقتًا

وأغلق هاتفه قبل أن تبادله الوداع.

هو لم يسارع فقط بغلق هاتفه في وجهها.. ولكنه أغلق جميع أبواب الأمل في الرجوع إليها.

وأي أمل في غياب تعدى الأعوام الثلاثة.. بل أكثر.

وانقطعت أخباره بعدها بعدة شهور.. إلى أن خارت قواها ونفد مخزون الصبر لديها.

أصبحت كغريق تعلق بقشة.. ولكن تلك القشة انكسرت فأغرقته.

ـ أسامحه إزاى يا عنان؟ أسامح جفاه واللا موت لهفته و للا بعده وللا تغيره من ناحيتى؟ أسامح؟ ليه ما عرفش ياخد قرار في وعده معايا؟ طب اقول لأهلى إيه؟ وأنا بطفش كل يوم والتانى عريس عشانه.. عشان مبقاش خاينة للعهد.. مبقاش خاينة لقلبه.. قلبه اللى مش حاسس بظروفي، ولا بيقدر انتظاري اللي طول.

ـ مش قادرة أقول له خلصت كل الحيل مع أهلي.. حتى دي مش قادرة اعترف له بيها.. خلصت كل محاولاتي لإقناعهم في رفضي لكل عريس منهم إنه مش مناسب.. طب اقنعهم بإيه تانى؟ قوليلى أعمل إيه وكل واحد من اللى اتقدموا أفضل من اللي بيمشي؟ واقبل أزاى وأنا لسه بحبه؟

وهنا كدت أن أصفعها لتفيق.. وأود احتضانها في آن واحد.

أرد مستنكرة.

- بتحبيه رغم غيابه؟ رغم انقطاعه ده كله؟
- أقول لك إيه؟ رغم تجاهله وإهماله ورغم قساوته.. بس مش قادرة أسامحه..بحبه بس جوايا نار.. حاسة أنى متهانة أوى.. ضعيفة لدرجة إني مش قادرة أسامح كسره لخاطري.. مش بس كسر قلبي ده كسر بخاطري يا عنان..
- تغييره في الفترة الأخيرة وعدم إحساسه بيا كسرني.

كسر الخاطر ليس فقط "يخلق من الطيبة جبروت".

إنما كسر الخاطر قادر على أن يخلق بداخلك وحشًا كاسرًا تخافه وتهاب منه.

قادر أيضًا أن يعظم بداخلك رغبة الانتقام.. حتى وإن كان ذلك ضد مبادئك.

والذين كسروا بخاطرك لا يعلمون أنهم بذلك قد حولوك لسلاح ذى حدين.

سيقضى عليهم أولاً.

لا يعلمون أنهم بقتلهم للبراءة المتبقية بك.. تتحول براءتك لقسوة تؤلمهم قبل أن تؤلمك.

"كسر الخاطر مش شطارة.. ده شيء في منتهى الحقارة".

وأحاول أن أستجديها لطفًا وعطفًا وألتمس عذرًا لألمها.

ـ حاولي تلتمسي له العذر.. مش جايز فعلاً والده يكون تعبان جدًا ومحتاج له يكون معاه كام أسبوع كمان؟ ممكن تلاقيه عامل لك مفاجأة ويرجع لك بسرعة ما تتخيلهاش؟

ـ عنان.. هو أنا لو مكنتش ملتمسة له العذر كنت صبرت أكثر من ٣ سنين؟ هو أنتى شايفة إني مش مقدرة ظروفه؟

وهنا تواجهنا الحقيقة الصعبة بأن الوجع يحولك لكتلة من الغضب..

بركان على استعداد للانفجار في أي وقت في وجه أي إنسان يفكر أن يؤلمك.

بركان يدمر معه الطيبة المتبقية فيك.

ـ تعرفى يا منى.. واضح إن كتر الصبر على الأذى بيوجع أكتر من الأذى نفسه.. يعنى جايز تحملك الكتير وجعك أكتر من غيابه..

"**ساعات بيبقى كل ذنبك انك أتحملت وجيت على نفسك كتير**".

أحيانًا تكون جريمتك في الصبر أنك صبرت أكثر مما ينبغي على أمور كانت تتطلب منك الحسم وليس الهرب.

تفكير وتمعن.. لا تجاهل.

ربما يكون خطؤك الوحيد أن عقلك ناضج ولا تلتفت للمواقف فى حين أنه كان من الممكن أن تشعر براحة أكثر لو كنت قد عاندت وثرت وقاومت.

وفى حقيقة الأمر كان لا بد لك أن تصرخ وتعترض وتكسر وترفض أي نوع من أنواع الضغوط عليك والتي تأتى على حساب راحة قلبك وبالك.

وهى تتحدث باكية.. مكسورة.

- طب يا ترى أنا غلطت لما أتحملت وللا غلطت لما حبيت يا عنان؟

- أنتي غلطتي لما آمنتى.. لما اتمسكتى بحبال دايبة.. لما أتعلقتي بالوهم.. لما اديتيه مساحة من حياتك وصفحات من عمرك قطعها بمجرد عهد منقوص.. لما استغنيتي عن طموحاتك بناء على رغبته

- إستنى استنى.. قصدك إيه بعهد منقوص؟

- العهد المنقوص إنه ما التزمش بأي فعل قدامك.. كله كلام في كلام.. لأنه غدر.. لو كان فعلاً فى نيته الالتزام بالعهد ده مكنش استنى لحد ما انطفت شموع أمله قدام عينيكي.. مكنش صبر على صبرك الطويل

ويستغيث إحساسها هنا.

- طب والحل يا عنان؟

- الحل انك مش مطالبة إنك تجيبي آخرك في طاقتك مع الدنيا.. الأزمات عمرها ما بتخلص ولا المختلين أخلاقيًا ولا شعوريًا هيخلصوا من حواليكي

وهنا تعلم ألا تتحمل فوق طاقتك "**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**".

فلماذا تحمل نفسك عبء علاقات مريضة.. وكأنك تدمن الفشل والحزن؟.

كأنك أسير للهلاك.

- مني.. العمر بيجرى بيكى.. يا تلحقى تعيشيه بالشكل اللي يرضيكى ويسعدك أو تعيشيه في المرار والصبر على الناس اللى بتشل حركة يومك وحاضرك ومستقبلك.. كفاية انك أتنازلتي عن شغلك بسببه لما طلب منك كده بحجة انه مش هيكون معاكى ومش هيعرف يحميكى.. أتنازلتى عن حلمك وطموحك عشان عهد معلق

- أنا مش ضد التضحيات ولا التنازلات لو ده هيكون في صالحك.. أنا ضد التضحيات فى سبيل الوهم.

وتبكى فى ثوب الخسارة محاولة إخفاء خيبتها.

- حبنا مكنش وهم يا عنان.

وهنا أواجهها بالحقيقة دون أن أخشى رد فعلها.

- تقصدي حبك إنتى.. بتتكلمي عن نفسك وعن مشاعرك لوحدك

وبنظرة غضب مستنكرة.

- ليه يا عنان؟ هو كان من طرف واحد !!!!

- لاحظتي إنك قلتي «**كان**»؟ سمعتي نفسك؟ عارفة لو من جواكي متأكدة إنه ما زال، مكنش قلبك نطق بكلمة «**كان**» ولا كانت طلعت على لسانك.. التنازلات يا منى غلط مع الناس الغلط

التنازلات ليست خطئا في حد ذاتها.. ولكنها خطأ مع الأشخاص الخطأ.

تكرارها خطأ.. حينما تحمل على عاتقك حجم الألم الذي تعيشه في العلاقة.

ذلك هو الخطأ الأكبر.

كثرة التنازلات.. ليس فقط تجعل الطرف الآخر يطمع بك.. بل تصبح تنازلاتك بالنسبة له حقًا مكتسبًا.

ازرع الطيبة والثقة... ولكن أحصد الحذر.

ارو أرضك بالمحبة.. ولكن عطشها بالحرص والخوف.

عندما تقوم بحماية الشخص الآخر وتحفظه بروحك.. لا تنس أن تحمى نفسك وتحفظها.

فيجب أن تتعلم أن تحافظ على نفسك وألا تفرط في حقوقك؛ حتى ولو كان الآخر يستحق التفريط.

سيأتي عليك الوقت الذي ينتهي فيه مخزون الصبر والتضحيات لديك.

قم بعمل توازن بين العطاء والمنح.. وفرق دومًا بين المنع والمنح.

لا تبالغ في قسوتك.. ولا تبالغ في عاطفتك كذلك.

إن كنت تود الحفاظ على من تحب للأبد.. لا تقترب حد الالتصاق ولا تبتعد حد الاغتراب.

ويعاود كرم الاتصال مرات ومرات ولا أجيب.

لا نوم لي ولا راحة بال.

الليل يصاحبني بوحشته وظلمته.. الليل صديق مخلص لجرحى الروح، وأشعر أن سكونه كسكون المقابر.

وجدت نفسي وحيدة مرة أخرى.. بين جدران تتهاوى من فرط الشعور بالوحدة.

بل من فرط الحسرة.

كنت أظن أنني وجدت الحب ووجدني.. وعثر على قلبي أخيرًا، فالحب لا تجده أنت وإنما يجدك هو، يتعثر بك.. إما أن يقودك إلى الجنة أو إلى الجحيم.. لا خيار ثالث.

هو رجل لم يصافح يدي.. إنما صافح قلبي.

لم يلمس جسدي.. إنا لامس سمعي.

ووسط هذا السكون يدق هاتفي مرة أخرى.. لا يكف عن الضجيج.

هل أجيب أم لا.. وإذا أجبته ماذا أقول؟.

هل أقول له اشتقت لك.. أم فلتذهب إلى الجحيم أنت ومن يشبهونك.

أفتقده.

غبية قلوبنا.. لم تتعلم ولن تتعلم؛ مشكلتنا أننا نصبح حمقى حينما نحب بجنون، ولكن العقل يرفض بشدة. كرامتي ترفض حتى مجرد النقاش في ذلك الأمر. كبريائي يتوسل الابتعاد عنه.. بينما روحي تحترق وتريده بشدة، ولكن هل أغفر؟ وكيف أغفر؟.

وإذ بمنى تفاجئني باتصالها في هذا الوقت المتأخر من الليل..

ومن المؤكد إنها في حاجة إليّ.. وإلا فما كانت لتتصل بي في هذه الساعة المتأخرة.

وأرد مسرعة.

ـ ألو.. منى؟

بكاؤها يسبق كلامها.. وشهيق وزفير يتصارعان حول أنفاسها وتكاد تلتقطها بصعوبة شديدة.

ـ منى.. قلقتيني فيه إيه؟

ـ خلاص يا عنان خلاص.. كل شئ انتهى.

أتساءل في عجالة.

ـ انتهى إزاي؟ إيه اللي حصل.

وأحاول أن أكون ثابتة أمام انهيارها قدر الإمكان بينما الجنون يأكل مخيلتى.

ـ خير يا منى؟ أرجوكي عرفينى فيه إيه؟

ـ اللى توقعته يا عنان.. نائل اتجوز.. اتصلت كتير بعد ما خلص كلامى معاكى ومشيتى.. وهو ما ردش عليا.. كان لازم أوصل لقرار للوضع اللى أنا فيه.. بعدها بساعة لقيت رسالة من رقم غير رقمه.. فتحتها بسرعة قلت أشوف مين اللى باعت لي رسالة.. لقيته بيقوللي أنا اتجوزت.. أرجوكي شوفي حياتك لأنى ضيعت من عمرك كتير وأنتي عايزة توصلى لقرار ومستعجلة

ومن هول المفاجأة أتساءل.

ـ أتجوز؟ أتجوز مين؟ وأمتى ده حصل؟

ويختنق صوتها مجددًا من فرط الدموع فيما تأكل الحسرة صدرها.

ـ بيقول بنت عمه المقيمة هناك في بيروت

وتحاول أن تستعيد ثباتها في لحظات.

ـ أرجوكي كملي يا منى.. أنا عايزة أفهم

ـ هو كان حكالي عنها من زمان إنها شايلة شغل كتير في شركة باباه.. وكنت عارفة إن هييجى وقت وهيقربوا من بعض.. بس كنت فاكرة إن إخلاصه ووفاؤه ليا أكبر من أي إغراءات في الدنيا

وتهوى كلمة "**إغراءات**" فوق رأسي كالصاعقة.

أي إغراءات تلك التى تجبر رجل على أن يكسر قلب امرأة.

امرأة قد اقتصت من عمرها سنوات فى انتظاره.

- إغراءات إيه يا منى؟ أنا مش فاهمة.. وإيه حكاية بنت عمه دي؟

- كان حكالي عنها كتير قبل ما يسافر وورانى صور ليها كمان وانهم كانوا أصحاب جدًا أيام الطفولة وانها كانت حابة تسيب مصر وتسافر تعيش فى لبنان عند باباها.. وطبعًا بحكم وجود والده هناك والشراكة اللى بينه وبين عمه.. هي كانت بتدير كل الأمور المالية للشركة بالنيابة عن باباها حسب كلامه.. ونائل كان رافض يسيب مصر ويعيش مع والده وكان ده سبب خلاف كبير بينهم.. ودلوقتى أنا فهمت

- فهمتى إيه يا منى؟

- فهمت إن باباه مكنش عيان ولا حاجة... دي كانت كذبة.. باباه حب يجبره انه ييجى يعيش معاه غصبن عنه عشان يقرب من سمر بنت عمه ويتعلق بيها زيادة

نصف ابتسامة ساخرة باكية بيننا.

- هو صغير يا منى عشان ميعرفش يقرر يتعلق بإيه وبمين؟

- ما قلت لك يا عنان الإغراءات كتير.. مش لازم تكون المغريات بنت حلوة.. ساعات الفلوس الكتير أكبر إغراء لأى

راجل ضعيف قدامها.. والمستوى المعيشى والمادى دلوقتى أكتر الشباب بيهتموا بيه على حساب الحب.. ومن جهلي كنت فاكراه ضعيف قدامى أكتر

وبصوت منخفض حزين أربت على إحساسها.

- عشان كده اتصدمتي من الحقايق اللي ظهرت لك.

- آاااااه يا عنان

تأوهات تعقبها آهات.. وصراخ أحس به في صوتها.. بل في وريدها أيضًا.

- تعبانة أوى يا عنان.. مصدومة.. موجوعة.. ليه خلاني أستناه وأضيع من عمري ده كله؟ بسهولة كده؟ برسالة؟ ضيع الحب كله بمجرد رسالة؟ ليه خلانى أعد الثواني قبل الدقايق على رجوعه؟ ليه هزمنى قدام أهلى وكسفنى المدة دي كلها؟ وف آخر الرسالة يقوللى سامحينى.. أنا عارف أنى كسرتك... يااااااه بسهولة كده عارف انك كسرتنى؟

وتغلق الهاتف بجملتها الباكية.. وهى مذبوحة القلب.

- هو ما كسرنيش.. أنا اللى كسرت نفسي بنفسى.. أنا اللى مذنبة فى حق نفسى مش هو.. أنا اللى كنت عبيطة لما أستنيت وعد فى الهوا وكلام حلو كتير وناعم يسحر القلب واستغنيت عن طموحاتي وقعدت من شغلى عشان خاطر أرضيه.. وفى الآخر يقوللي عارف أنى كسرتك

هل قدرنا ألا نحصل يومًا على القدر الكافي من الحب؟.

هل ولدنا لنحتسى التعاسة بدلاً من الفرح؟.

هل خلقنا لنُبتَلَى في قلوبنا.. وليعتصر البكاء أحلامنا؟.

ولماذا لا نلقن هؤلاء المرضى درسًا في الأمانة؟.

فالعهد أمانة...

لماذا دائمًا نميل إلى من يجيد بتر لهفتنا الأولى..

وفرحتنا الأولى وطفولتنا الأولى تجاه الحب؟.

لماذا من نحاول استدراجهم للحب هم أول من يشهرون سيفهم في وجوهنا؟.

كيف نحيا كالعجزة؟ تتوقف أطرافنا عن العمل في كل صدمة تلاحقنا؟.

نعيش على وجبات من الإهانة.. وجبات دسمة من الخيبات تكاد تفقدك شهية البقاء على وجه الأرض؟.

وهل قوتنا تكمن في بقاء من أحبنا بجوارنا؟.

لا وألف لا.. إنما قوتنا تكمن في الاكتفاء..

نعم.. القوة في الاكتفاء.

قد تكمن في التخلي ولا تعلم.. قد تكمن في الاستغناء ولا تعلم..

قد تكمن في الاستغناء والبقاء على أرضك رفيقًا لنفسك وصديقًا وحيدًا لها..

قد ترى النور في عزلتك..

قد يضعف بصرك من البكاء لتقوى بصيرتك.. قد تتأذى ولكن تتحدى..

تتحدى وحدتك واحتياجك.. احتياجك لذلك فقط..

ودون أن تطلب العون من أحد..

قد تكمن قوتك في هزيمة هشاشة روحك ومحو ضعفك إلى الأبد بقرارات يقودها العقل.

العقل فحسب..

فلولا العقل لجنت القلوب.. لولاه لماتت جميع الكرامات واستشهدت عزة النفس.

تبًا لقرارات يقودها القلب.. تبًا لنبض يتقطع من أجل من لا يستحق.

تتأذى وتكتم.. تتأوه وتخفى.

تنهار وتصمد.. ليس حبًا في ممارسة الشجاعة.

إنما قد أثبتت لك الأيام أن التشبث بالصبر هو أعلى درجات القوة.

إن سحائب الحزن قاسية ومتعددة..

ومخذلة..

ولا أعرف لماذا لا تكتمل الأشياء الجميلة إلى النهاية؟.

لماذا نبحر في قلوب لا تستحق ولاءنا، والذي يهترئ في المنتصف. هو "**العمر**" كثياب ممزقة الخيوط.

نحن لا نجيد الحفاظ على العمر..

نجيد الفقد.. نجيد العبث.

نبحث دومًا عمن يقتل بهجتنا.

بهجتنا سريعة العطب.. تنتهي سعادتنا في لمح البصر.

وكأن لها تاريخًا للصلاحية بيد هؤلاء القساة.

والصلاح لا يأتي من نفوس متسخة.. إنما كل ما تركوه لنا هو الخراب.

بأي حق نترك أرواحنا كدمية في أيديهم يحركونها بين أصابعهم كيفما شاءوا؟.

في عتمة هذا الليل وحدي تراودني الهزيمة.. هل أغفر الكذب أم أغفر لنفسي الحمق هذا والتظاهر بالنضج والقوة.



آلام لا تغتفر

تطرق بابي خالتي (**زوزو**) التي هي بمثابة مرآتي التي تكشفني أمام نفسي.. قائلة في حنان بديع.

- إيه يا حبيبتى.. سهرك زايد النهاردة.. أنا قلت اسيبك ساعة أو اتنين يمكن تنامى.. لقيت مفيش فايدة قلت آخد بعضى وآجى أرخم عليكى.

- أنتى بترخمى؟ طب ياريت الناس كلها شبهك في الرخامة والحنية دى

تقترب لتجلس بجوارى على الفراش وذراعها يلتف حول كتفي بحنان أم.

- أحوالك مش عجبانى.. ساعة فرحانة زى الفراشة تتنطظي.. وساعات أحس انك مطفية زى اللى مات له ميت

- آاااااه يا زوزو.. تصدقي فعلاً أنا مات لى ميت

وضحكة مكسورة في نهاية حديثى.

ففي سكون لا يتجاوز الدقائق الثلاث.. تشدني بقوة لتأخذني في عناق إلى صدرها الحنون.

أتمنى لو صرخت.. ولكنني أبكى فقط.

أبكى من فرط قوة عناقها لي والذي أتى في وقته تمامًا.

نحن أحيانًا لا نريد من يسمع شكوانا أو ينصت للأنين بداخلنا، أو يعتب علينا أو ينصحنا.. أو حتى يشد على أيدينا. فقط نريد عناقًا حقيقيًا من أقرب الناس إلينا ليذكرنا أن في الحياة حياة، وفى الدنيا ما زال الأمل يعيش بيننا، فعندما تملك في الحياة قلبًا يرعاك كقلب (**زوزو**).. فلا يحق لك أن تتحدث عن الوحدة والتعاسة، ولا يحق لك الشكوى من الآخرين.. ولا يصح لك أن تبكى موجوعًا.

هل تعلم أن التعاسة لمن يُخذَلون من أقرب الناس إليهم هي أشد الأشياء ألمًا؟.

فقد لا يضرك ما يقال فيك.. ولكن يؤلمك بشدة طعنة أقرب الناس إليك، فهى أشد وطأة على القلب..

أشد كسرًا لكل ضلوع الثقة التي ولدت من مخاض الأيام الخائنة.

حقًا خائنة.. لأنك تعودت الطهر دائمًا..

براءتك تسبق نضجك.. ولكن الأيام تعودت أن تميت فيك كل ما هو برئ ونقى.

وكأنها أقسمت على ألا تعود إلى نفسك البريئة التي كانت من قبل.

مهما بكى بداخلك الطفل الذي طالما عاش معك أسوأ ما في الواقع.

وأخفى دموعي التي تراها زوزو قبل أن تنهمر على وجنتي.. فهي بارعة في رؤية دموعي قبل أن تولد في عينيّ، وعلى معرفة جيدة بأكثر الأشياء إيلامًا لنفسي.

وفى حنو عجيب.. تحاول الخلاص من هذا العناق برقة شديدة.. قائلة.

ـ هاااا.. كفاية حضن كده وللا إيه؟

وبرجاء دامع منى.. ملئ بالألم.

ـ لالالالا خليكى.. بالعكس أنا محتاجة حضنك ده جدًا.. ده جه في وقته بالظبط.

ـ يااااه للدرجة دى تعبانة؟

ـ فوق ما تتخيلي

تشد على ذراعي لترفع وجهي بينما كنت أحاول أن أدفنه في صدرها.

ـ بس أنا عمرى ما شفتك ضعيفة كده

أرد هامسة.

ـ هو البكا ضعف يا زوزو؟ ده إلا انتى.. البكا في حضنك قوة

ـ أنا مش قصدى البكا.. انا اقصد انك مستخبية ف حضنى زى القطة المبلولة البردانة اللي شبعت مطر في عز الشتا.

- بس أنا ما أذانيش المطر.. للأسف أنا أذانى البشر.. البشر يا زوزو بقوا قاسين أوى.. بيكسروا فينا وكأننا اتخلقنا من حديد.. ومهما كسروا فينا مش هنتوجع.. والحقيقة إن أحنا ضعاف أوى

تمرر يديها الرقيقة على شعرى قائلة.

- يااااااه.. مين اللى تعبك كده؟
- أنا مش بس تعبانة علشانى.. أنا تعبانة لأن ناس كتير حواليا بحبهم مش لاقيين الأمان مع اللى بيحبوهم
- إنتى زعلانة أوى عشانهم للدرجة دى؟ يهموكى أوى كده؟
- أنا زعلانة من الدنيا اللى زعلتهم.. عطاءهم بيتقابل دايمًا بالجفا وبالصدمة.
- حظهم كده.. في إيدك انتى حلول ليهم؟
- ياريت كان فى إيدى.. كنت وجعت اللى وجعوهم كده... عارفة المشكلة فين يا زوزو؟ إنهم بعد ما يوجعونا بيطلبوا مننا نسامحهم على كسرهم ووجعهم لينا.. طبعًا إنتى عارفة منى صاحبتي.
- آه عارفاها.. مالها؟
- صبرت وسامحت كتير فى عمرها اللى بيروح سنة ورا سنة من غير ما تشتكى.. وآخرة صبرها وسكوتها أتصدمت في أقرب الناس لقلبها

الحقيقة أن هناك أشخاصًا كلما غفرت لهم ازدادوا طغيانًا.

ليس فقط آمنين لمغفرتك.. وإنما يأمنوا لإخلاصك واستسلامك وتوحدك فيهم.

سذاجتك لو لزم الأمر.

ليس ذكاء منهم استغلال طيبتك تحت مسمى "**التسامح من شيم العظام**".

منتهى الغباء اعتقادهم أنك ستظل وفيًا للتسامح وتتجاهل أخطاءهم فى حقك.

هؤلاء الأشخاص لا بد أن يعاملوا على قدر عقولهم.. مرضى.

لا تمنحهم حجمًا أكبر من حجمهم لكي يفيقوا من وهم ومرض السادية والغطرسة المفرطة التي تعيش في دمائهم.

اغفر فقط لأصحاب القلوب نظيفة الشعور، أما حقراء النفس فتبًا لهم.. أخرجهم من حياتك للأبد؛ لأن ذلك المكان الذي يشغلونه بداخلك.. هناك من يستحقه بدلاً منهم.

جدد نشاط الغدة الحياتية بمحو ذلك الزحام الكاذب من حولك. تشبث بالقلوب الجميلة فقط.

تستكمل زوزو حديثها الذي يربت على قلبي مواسيًا في عذوبة، ولكلماتها التي تحتضن حزني.

ـ هو مش كان واعدها بالجواز قريب؟ كنتي قايلالي كده؟

بسخرية.

ـ «**كان**».. سافر أول ما قالوا له ان والده عايزه.. واضح إن والده أجبره على الجواز من بنت عمه.. ومنى لما عرفت اتصدمت جامد مع إن كان قلبها حاسس بكده.

ترد زوزو والاندهاش يبدو على ملامحها.

ـ أجبره؟ محدش بيجبر حد على شئ هو مش عايزه.. إلا الجواز.. محدش بيضرب حد على إيده عشان يختار له.. لو هو مكنش عنده الرغبة في كده مكنش اتجوزها من الأساس.

ـ بصى يا زوزو.. سواء كده أو كده هو خاين

وفى خبث لذيذ تقترب منى قائلة.

ـ وأنتى بقى

أبادلها بنفس الخبث.

ـ أنا إيه؟

ـ إنتى إيه تاعبك غير حكاية منى؟

ـ أنا مش مخبية عليكى حاجة.. إنتى عارفة كل خطواتى

ـ ما أنا عشان عارفة.. محتاجة أفهم ليه من أيام كنتى مبسوطة وطايرة م الفرحة والنهاردة موجوعة؟

ـ عادى جدًا.. صدمة عاطفية

أقولها مصحوبة بضحكة ساخرة.

ـ عارفة يا عنان؟ الحب ف زماننا كان صعب.. الولد عشان يوصل للبنت اللى بيحبها كان بيتعب أوى يا بنتى.. كان لما بيحب يقابلها أو يشوفها بس كان بيبقى خايف ومرعوب أحسن حد من أهلها يشوفه وهو واقف تحت بلكونتها.. كان بيستناها تعدى تروح مدرستها أو كليتها عشان يرمى تحت رجليها جواب منه.. جواب كاتب لها فيه هو أد إيه بيحبها.. وهى كانت توطى تاخده وكلها خوف وكسوف.. لكن دلوقتى أى شاب سهل جدًا يتعرف على أي واحدة.. لو مش عن طريق أخته واللا مامته واللا عن طريق حد يبقى عن طريق المخروب اللى فى إيديكو ده.

تضحكنى بشدة رغم ألمى وتستكمل حديثها الواقعى والساخر فى آن واحد.

ـ إنتى بتقولى فيها؟ النت ده مخلاش حد بعيد عن حد؟ كل الناس بتوصل لبعض بمنتهى السهولة.. ممكن حد يكلم حد فى أمريكا ويصاحب حد من إيطاليا واللا يعمل علاقات فى أوكرانيا.. يعنى الشاب ما بيتعبش أبدًا ولا بيلاقى صعوبة فى الوصول للبنت اللى حاببها ولا بيلاقى صعوبة فى إنه يشوفها ويقابلها.. الأمور كلها سهلة بالنسبة له والساهل بيروح بالساهل يا بنتى.. ده انتوا ف زمن ما يعلم بيه إلا ربنا

ـ يعنى مش كل ما زاد القرب المفروض يزيد الحب؟

نصف ابتسامة على وجهها.

- مين قال كده؟ كل ما زاد القرب بين اتنين هيملوا من بعض بسرعة.. مش هيبقى فيه لهفة يا بنتى.. اللهفة محتاجة اشتياق.. وهو هيشتاق ازاى وهو كل يوم بيشوفها ويكلمها؟

- أي شاب لازم يتعب عشان يوصل للإنسانة اللى يتمنى يعيش معاها.. وشباب اليومين دول ما بيتعبوش ولا عاوزين يتعبوا.. ده حتى ف شغلهم يا بنتى كله عاوز يخلص كليته من هنا يلاقى مكتب بتكييف بعربية بشقة من هنا من غير تعب منه ولا جهد.. زمان كان فيه اعتماد على النفس.. ودلوقتى كله بيعتمد على اللى سايبهوله أبوه

- تصدقى ف دى عندك حق؟

- أيوة.. واحد مش عاوز يتعب عشان يفتح بيت هيتعب بقى في الوصول لواحدة.. صعب طبعًا.. المجهود يا بنتى له طعم تانى.. له طعم كله صدق

الحب – يا سادة – ليس أقوالاً ووعود.. وإنما مجهود.

أن تبذل أقصى ما عندك لتصل لمن تريده فى ساحة حياتك..

أن تجتهد لتصل.. هذا مبدأ الشرفاء.

شرفاء الحب.. وهل هناك أناس غير شرفاء؟.

هناك غير الشرفاء في الحب.. هناك الطامعين في المزيد دون عناء منهم أو تعب.

الحب بلا تعب وبلا سعى وبلا جهد.. هو حب "**ميت**".

لكي تصل عليك بالسفر إلى هذا العالم.. رحلة تعود منها غانمًا أو خاسرًا.

فإن لم تكن على قدر الأخذ.. فلا داع أن تحمّل قلبًا آخر عبء همك.

لا داع أن تشرك شخصًا آخر في حلمك الكاذب..

لا داع لإقامة مدينة كاذبة فوق رمال واهية..

لا تترك مشاعر أحد آيلة للسقوط كلما نضج ما بينكما.

أجتهد.. اهتم.. حلق بكلا جناحيك في سماء من تحب.

الاهتمام لا يُطلَب.. والحب لا يباع.. والطيبة عملة نادرة.. والصدمات حتمية.

لذا نحن بحاجة لضخ بعض المناعة بالشرايين ضد قسوة الأيام.

هل تسرب الملل بقلب "**نائل**" لذلك كان سهل الاستغناء عن "**منى**" ونقض عهده معها والزواج بغيرها؟.

هل تسرب الملل أيضًا لقلب "**كرم**" لذلك قام بطعني وإخفاء أمر زواجه عني؟.

أم هل كنا نعيش أغنية لا تتعدى الدقائق فتنتهي برثاء القلوب؟.

عليك أن تبحث عن إنسان لا ينتهي معه حديث أو لقاء أو أيام.

لا تمل معه طريقًا أو زمان.. ولا يمل منك ولا ينتهي معه إنصات أو

تقرب أو حنين أو اشتياق.

كأغنية تزداد بها تعلقًا وتناغمًا وإدمانًا.

التناغم في العلاقة هو أكثر الأشياء جمالا.

ولكي تحصل على ذلك التناغم.. عليك أن تختار شبيه روحك..شبيه حديث نفسك وشعورك..

كآلة موسيقية قديمة الصنع.. رائعة الطراز.. عتيقة الملمس.

تعزفا معًا لحنًا واحدًا..

عليك أن تبحث عمن تعيش الحب فيه لا معه.. كرواية لا يموت أبطالها في النهاية، بل يملئون العالم نصرًا ورفعة، كأرض خصبة تنبت جنونًا لا ورود فقط.

عليك أن تبحث عن شخص تجد فيه نفسك.. لا ينشغل عنك ولو كلفه ذلك كل عمره وسنواته.

لا ينشغل عنك إلا بك.. لا يصرفه عنك غير الموت، كقنينة عطر تزيدك اشتياقًا.. يسرقك ليسافر بك عبر الأزمان التي لم تعشها بعد، إنسان تموت وتولد بين يديه أولى كلماتك في الحياة.. ينسيك أين يقع موطنك الحقيقي..

هل في قلبه أم في جنة عينيه؟.

أين ذهب النوم؟ هل سأظل أيامًا بلا نوم أو راحة؟.

- زوزو.. أنا نفسي أنام بس مش عارفة أبطل تفكير

تحاول تغطيتي بالفراش قائلة:.

- ريحى بالك يا بنتى.. مفيش شئ بيدوم.. صدقينى.. لا القلق ولا الوجع ولا الحزن بيدوم.. ثم تحزنى على إيه بس.. هو كان وعدك بحاجة؟

وهنا حضرني مشهد للعبقري "**أحمد زكى**" في فيلم "اضحك الصورة تطلع حلوة "حينما قال : "هي العقود عندكم ورق وبس؟ العقد ما بيعملش الحقيقة.. بيثبتها بس.. كلمة بحبك عقد.. النظرة عقد.. اللمسة عقد.. الوعد بالجواز ده أكبر عقد ".

حقًا.. إن الحب عقد..

كلمة "**بحبك**" عهد ووعد والتزام.

من باح لك بالحب فقد وعدك بالحياة.

الحب التزام.. قوة وليس ضعفًا.

الحب يلتفت إلى القلوب الجبانة ليعلمهم الشجاعة والإقبال على الشريك.

ولكن كي لا ننسى أن الشخص الذي يفعل ما يحزنك دائمًا فهو لا يحبك.

من يتعمد أن يكرر نفس أخطائه معك ولا تهمه راحتك.

يفسد عليك مزاجك وصفو قلبك.. لم ولن يحبك.

الرجل لا يكترث للأنثى الشغوفة بالعشق.. لا تلفت انتباه قلبه.

فقد تجذبه الباردة أو الهادئة من وجهة نظره..

وحقيقة الأمر.. ليس هذا بهدوء..

قد يكون افتقارًا للشعور..

نلاحظ أن الرجال تنجذب لمن تجيد الصمت.. مليئة بجهل المشاعر التي تؤلم وتين قلبه بثلوج كلماتها وأفعالها.

قلبها متوقف تمامًا عن الحب أو كيفية الحب.

أما الولوعة الشغوفة والمشتعلة والمرهفة لا تثير عقله.. قد تثير غرائزه فقط. قد تثير فيه ما ينقصه كرجل.. قد ترضى غروره بضعة أيام، إنما لا ترضى عقله.. حتى وإن مال قلبه تجاهها، فهو لا يريد أن يعلو تفكير أحد فوق صوت عقله هو. يريد أن يكون هو المدبر والمخطط في حكايته.

في استطاعتنا أن نعترف أن الرجل لا تثيره المرأة الواعية المثقفة، إنما قد تجذبه بعض الوقت.. ينجذب لتلك التي لا تعرف عن عالم الرجال شيئًا.

التي تؤمن به إيمانًا كاملاً.. لا تؤمن بنفسها.. تنساق خلف رغباته فقط.

أما المرأة المثقفة التي تؤمن بنفسها إيمانًا شديدًا.. هي على قدر من الجمال الممغنط.

تفتقد ذلك الجمال الأنثى التقليدية التي لا تميل لشيء.. ولا تطمع إلا في سند. تقوم بدور المتلقي.. لا المرسل.. تستند عليه، أما الواعية مهما عصفت بها الأيام.. فهي قوية غير قابلة للكسر.. تسند نفسها بنفسها،

وفى استطاعة الرجل أن يستند عليها هو الآخر كحصنه المنيع.

الرجل يكره ذلك الصنف الذي لا يضعف أمامه ولا يحتاجه في شيء.

فكافة المعارك التي تقوم بين الرجل والمرأة.. سببها في الأساس أن المرأة الآن لم تعد بحاجة إلى رجل.

تعتمد على نفسها أكثر من اعتمادها على البشر.

فقد أصبح الرجل مصدر ألم بالنسبة لها.. فوهة خذلان.

مادة خام للخيبة..

بعض الرجال ليس لهم القدرة إلا على إلقاء الأوامر وقصف الجبهة الكلامية لا أكثر.

لأنه يعجز عن الفعل أمام الأنثى الذكية.

والذكية هي التي لا تشعره بذلك.. بل تتركه يعصف ويكسر ويحطم ويزأر إن شاء ذلك أيضًا؛ لتتركه بمحض إرادتها يأخذ المرتبة الأولى في القلب والجسد والروح لديها، تترك له كافة الأمور من صعاب..

تستند عليه.. تعينه على نفسه ليصبح قائدًا مغوارًا بين جيوش الرجال، وهو لا يعلم أنها صاحبة الفضل في ذلك..

ويعاود كرم الاتصال.. لا يكل ولا يمل.

هل هذا هو الرجل الذي كنت أود الاستناد عليه؟.

كنت سأسلم له أيامي وعمري بمنتهى الحب؟.

هيهات.. إن آمنت بك الأنثى جعلتك الوطن والأغنية والطريق.

جعلتك الأب والأخ والصديق..

تصنع منك جدارًا تستند عليه.. جعلتك سماء وأرضًا.

بل جعلتك شرفتها إلى الدنيا.

وفى صباح اليوم التالي.. متعبة أنا من فرط الألم لا أقوى على الاستيقاظ.. ولكن لا أريد أن أستسلم للفراش اليوم.. فقد ينصب لى ذلك الفراش مأدبة هموم لا حد لها.

ستتصيد الذكريات وجعي ويتخذ الفكر جميع الفرص لبث الحزن بداخلي مرة أخرى.

لا.. لن استسلم للهروب في نوم عميق قد يودى بحياتي إلى الموت البطيء. سأنفض ما تركه أمس من إجهاد نفسي عشته وزادت عليه صديقتي منى.

أحاول النهوض مرارًا وتكرارًا.. حقًا أنا متعبة.

هل أعطى لنفسي عشر دقائق أخرى للاسترخاء فى سريري؟.

لكن الاسترخاء هذه المرة ليس استرخاء كما أدعى.

بل تفكر.. تدبر لما يحدث وما سيحدث.

يعج رأسي بالصداع.. تساؤلات لا تنتهي.

لماذا كان نائل يستفز منى بحكايته المريضة عن ابنة عمه تلك؟.

بم كان يلمح لها قبل سفره؟ وهل كان يتعمد ذلك؟.

أم كان يمهد لمنى انه على وشك الرحيل من دنياها؟.

الرجل الأحمق هو الذي يستفز الأنثى بأنثى أخرى.. لا يعرف أن المرأة الأنيقة العاشقة لا تأكل من الطعام العفن الذي يتراقص حوله الذباب ....

"مزاجية مرعبة".

هو حقًا اسم على مسمى.. كما يقولون (**كرم**).. كرم بالجرح والطعن،.

وأهب مسرعة من فراشي لأحتسى قهوتي الساخنة. قادر هذا الشيء على تغيير العالم في عينيك.

قادر على طمأنة مزاجي المبعثر.. على تهدئة روح صاخبة.

قادرة القهوة على تغيير تاريخك في لحظة.

أفتح باب شرفتي.. أستنشق الهواء الذي ربما كان نقيًا أكثر من الأشخاص ولو كان يحمل من الغبار الكثير والملوث.. فهو أقل تلوثًا من قلوب البعض.

أرتدي ملابسي.. أميل اليوم إلى الألوان القاتمة.

ما أنجحنا في اختيار الألوان الكئيبة بعد كل ألم !!!!.

لن أتناول فطورًا... فمعدتي ممتلئة حد الشبع.

الشبع من الصدمات.

من التجارب العقيمة التي وقع فيها الأصدقاء من حولي، رغم أن شعاري بالحياة "**أصمد بعد كل صدمة.. أصمد حتى إذا جاءتك الخيبات وجدتك في منتهى القوة.. واذهب واختبئ خلف الضحكة**".

نعم.. اختبئ.

لا تجعل أحدًا يراك ضعيفًا أو مكسورًا.. لا تسمح لنظرات الشفقة أن تغتالك.

كن قويًا قدر الإمكان.. كن جسورًا.

لهم ثورتهم ولك ثورتك.. لا تجعل ضجيجهم يزعجك.

لا تترك أفعالهم تحطم قواك أو تزحزح عزمك قيد أنملة.

لا أحد يرغب منك أن تكون ملاكًا.. ولا أحد يكترث لشيطانك.

لا أحد يطلب منك كل صباح أن توفر له الأجواء الحالمة لكي يحيا في سلام.

كل يسعى إلى عالمه الخاص.. المؤلم أو المتعب أو الشاق أو المليء بالاحتياج.

الجميع فقط يحتاج منك ألا تشكو.. وإن شكوت فلن تجد إلا كلامًا.

لن تجد سندًا أو عونًا.. إلا فقط من يحبك بحق، سيفعل ما في وسعه لإزاحة الهموم عن طريقك.

أصل إلى الجريدة وأمامي البوابة هناك.. أجده ينتظرني.

أتيقن أنه في انتظاري.. وإلا فما الذي أتى به إلى هنا.

يا ليتني ما اتخذت قرار النزول من البيت من الأساس حتى لا أرى وجهه ثانية.

داخلي شيء يود لو يسمعه.. وأشياء ترفض حتى اللقاء به إلى يوم القيامة. حمم نارية يقظة لا تهدأ في قلبي.. عبارات بداخلي لو خرجت لدمرت أمانيه ورجولته أيضًا.

الكذب لا يُغتفَر يا سادة.. الغدر لا يُنسَى.. والاحتيال ليس له شفيع.

القضية محسومة.. فما الذي أتى به إلى هنا؟.

هل كان يختبر صبري إلى أن نفد؟.

أحمق لو كان يختبر صبري بكذباته.

وكما يقولون "ما تختبروش صبر الناس الطيبين لأن هييجى الوقت اللى هياخدوا فيه قرارات توجعكم إنتو شخصيًا.. بلاش تيجوا عليهم دايمًا لأن كتر القساوة بتدغدغ معالم الرحمة ".

حقًا.. إن كثرة القسوة تدغدغ معالم الرحمة..

وأمر من أمامه محاولة ألا أعير له انتباهًا.. محاولة ألا ألتفت إليه.

وإذ به مناديًا.

ــ عنان... عنااااان.. أرجوكى تقفى

تسبقني خطوتي وتصارعني وكأنها تستحلفني الركض لا السير.

تتقطع أنفاسي وكأني في سباق للركض السريع..

ويكرر مناداتى.

- عنااااااان.. آخر كلمتين.. صدقينى هقولهم ومش هتشوفى وشى.. أرجوكى ادينى فرصة أخيرة أدافع فيها عن نفسي.

أستمع إلى كلماته من خلفي.. لم أعد أحتمل صوته من خلفي.

يا للغرابة الشديدة.. الآن لم أعد أطيق هذا الصوت بعد ما كان نغمًا وحلمًا وموسيقى راقصة بسمعى فى يوم ما.

ما الذي حدث لي؟ ما هذا التغيير الذي فرض حاله علينا؟.

كيف لم أعد أحتمل صياحه.. أكره حتى اسمي حين يتلفظ به.

نحن حقًا نتغير.. نتغير من فرط القسوة.

نتبدل لأناس غيرنا عندما تحزن قلوبنا.

ليتني لم أنسق لقرارات القلب أبدًا.

ليتني صببت الاهتمام على عقلي صبًا.

ليتني لم أتعاطف إلى هذا الحد مع مشاعري، وأصطحبها إلى النار والهلاك.

تخلص من عاطفتك المفرطة.. تتبع عقلك.. ربما قسوة القرارات التي يصنعها عقلك قد تكون الأصعب والأسوأ على الإطلاق.

ولكن مع كشف بعض الأوراق.. ستعلم أنها كانت صائبة.

ما أغربني !!! فبداخلي الآن شخصين.

طفلة تريد أن تبكي بحرقة شديدة على كتفه معاتبة له.. وأنثى ناضجة مجروحة تريد لو تركض وتصفعه على وجنتيه وتصرخ في وجهه.

لا تتعجب إذن عندما تجد أنثى تسخر من الحب والمحبين.. فهي قد وثقت من قبل في أحدهم حتى أثبت لها هذا الشخص أنه ما عاد مكان للوفاء، ولا للحب.

فهي لا تهزأ عبثًا.. إنما تجدها قد شبعت يأسًا ووهمًا وزيفًا.

خطواتى تسرع أكثر فأكثر لأهرب من صياحه وحديثه.

ولكن يبدو أنه لم يقنط.. وسيظل يركض خلفي راجيًا أن أستمع له.

ألتفت له في حدة وغضب.

- إيه هما الكلمتين اللى عاوز تقولهم واسمعهم منك وبعد كده هتتفضل تخرج من حياتى للأبد.
- هخرج من حياتك.. صدقينى ده لو قرارك الحقيقى ولو دي رغبتك الحقيقية عمري ما هكون سبب في ألمك بعد كده

أقاطعه ساخرة.

- عمرك؟ هو أنت عمرك أخلصت لحد؟ عمرك كنت صادق مع نفسك؟ عمرك قابلت حد وسلمك قلبه وكان على وشك يسلمك عمره وخذلته قدي؟ تعرف إيه أنت عن الوعود عشان توعد تانى انك متوجعنيش.

وهنا يحاول الاقتراب قليلاً ليمسك بيدى.. وأنهره في غضب شديد.

- إبعد.. خطوة كمان وهتصرف تصرفات ما تليقش براجل محترم

يتراجع إلى الخلف خطوتين.

- أنا آسف.. والله ما غشيتك.. مش محتاج منك غير عشر دقايق فى أى مكان أشرح لك اللى عاوز أوضحه.. أرجوكى تقبلى ما ترفضيش.

أشعر أن نظرات الناس من حولي تلاحقني.. على الرغم أنه منذ لحظات قليلة كنت أشعر أن الشارع يخلو من الجميع.. ولكنني اكتشفت أن هناك جموع وصخب.

كل يسعى في طريقه.

من يتوجه إلى مصعد الجريدة.. ومن "**يركن**" سيارته بالخارج، ومن لديه محادثة هاتفية.. ومن يسير بجانبنا في سكوت، ومن يسترق السمع لكلامنا.. محاولاً فهم ما نقول، فالشارع يكتظ بالمارة، لا مفر.. سأسمح له بالجلوس لبضع دقائق في مقهى قريب، ونجلس على أول منضدة نعثر عليها.

أجلس أمامه مباشرة وكأنني في لقاء عمل أو لقاء حرب. أتوجس اضطرابًا.. اختنق، ولكن هناك بعض الكلمات السامة جدًا تستفز شفتي لأبادر بالحديث، ولكنني سأنتظر مبادرته أولاً..

- أتفضل.. أنا سامعاك وياريت ما تطولش ف كلامك عشان مش هستنى أكتر من العشر دقايق.

يلتقط أنفاسه في هدوء ذئب.

أشعر أنه يفعل كما يفعل الذئب تمامًا.. فهو ذكي ينظم ردود أفعاله.

له سرعة بديهة عالية.. ينتظر فريسته على بعد العديد من الكيلو مترات.

وذلك بسبب قدرته على شم رائحة دم الفريسة. فـ (**كرم**) كان بارعًا في شم رائحة دم وحدتي ويتمى وافتقاري للحب.

لا يمكن أن يراوده أحد.. قادر على تحديد ما إن كانت فريسته تحمل سلاحًا أم لا. قادرة على شد أجزائه وتفريغ الرصاص في صدره كاملاً أم لا.. لها قدرة على ضبط زاوية القتل تمامًا.. أم ستخطئ التصويب.

ستصيبه أم ستختبئ فيه.

يأتي النادل سائلاً ماذا نود أن نحتسى.

اعتذرت له في أدب.

- آسفة أنا همشى بعد دقايق مش هقدر اطلب حاجة.. ممكن تشوف الأستاذ.. إنما أنا لأ

طلب هو (**النسكافيه**) المفضل لديه.

لحظات من الهدوء الذي يسبق العاصفة.

- أنا مش هدافع عن نفسى.. أنا حقيقى مكنش ممكن أقولك الحقيقة كاملة عشان خفت أخسرك.. مكنش ينفع أخسرك حقيقى لأنى بحبك.. أنا......

أقاطعه لوهلة.

ـ بتحبنى؟ الكلمة دى سمعتها فين قبل كده؟ في الأغانى صحيح، والأفلام والكليبات.. أما فى الواقع.. النهاردة بحبك.. بكرة هغدر بيكى وبعده هندمك على معرفتي.

نصف ضحكة تحتبس فيها الدموع.

ـ لا والله يا عنان.. أنا حقيقي غلطت لما مكنتش صريح معاكى بما فيه الكفاية.. بس لو سامحتينى..صدقيـــ......

كان لا بد أن أقاطعه هنا قبل أن يكمل سخافاته.

ـ لو سامحتك؟ هو التسامح ده شيء سهل أوى كده؟ طب أسامح في إيه تحديدًا؟

ـ مكنش ينفع يا عنان أسيب أولادي يضيعوا منى.

وهنا صدمة أخرى تلقى بشظاياها النارية فوق رأسية كصوت رعد فى ليلة شتوية مرعبة.

ـ ولادك؟ أنت كمان عندك أولاد؟

وأتنهد في حسرة واشمئزاز في آن واحد.

أدركت هنا أنني كنت مجرد نزوة لا أكثر، بل أضحوكة.

ـ طيب اسمعنى انا بقى أرجوك.. فيه حاجات مينفعش أسامح فيها وناس مقدرش اغفر لهم للأسف.. حد شوهنى نفسيًا.. أنت شوهتنى نفسيًا.

لا تغفر لمن يدخلك في حرب استنزاف مع نفسك وقد جرح كبرياءك وقلل منك على المدى القريب والبعيد في حين أنك كنت تبرر له تصرفاته بشكل مستمر على سبيل السهو منه لا العمد.

لا تغفر لمن اغتالك في قلبك وحوّل حبك له إلى حبل مشنقة تعدم به نفسك.

لا تسمح لمن لم يرحم طيبتك.. من يرى حبك ضعفًا لا قوة.

سذاجة لا بذلاً..

لا تغفر لمن استغل عطفك وعاطفتك في صالح خياله المريض وهو أبعد من أن يعرف أنه يحب، أو أبعد من أن يرزقه الله بنعمة الحب في حياته.

هو معاق في إحساسه.. وبالتالي لا يجيد المحبة بل يجيد الكراهية.

أحد لا يأتيك إلا عندما يسود العالم في وجهه.. فيلجأ لك كعكاز يتكئ عليه.

وفى لحظات وهنك وضعفك.. لا يعرف كيف يلتقطك ويخلصك من أوجاعك؛ لأنك لا تشغل له بالاً.. فهو في الأساس منزوع العاطفة.. لا يقلق من أجلك.

لا تغفر لمن أعماه غروره عن عيوبه التي تتفاقم حتى النخاع.. غروره وغطرسته التي يدمر بها نفسه قبل غيره.

إنه مريض بالكبر الذي قد يصل بك إلى أن تشك فى قدراتك، يجعلك تشك في حسن نيتك أيضًا تجاهه.

لا تعلم.. هل أنت على صواب أم هو المختل عقليًا.. يجعلك تندم على طيبتك معه وعفوك له. إنه أكثر شخص يستحق الشفقة.. لأنه يعتقد أن التعالي على الأشخاص موهبة فريدة. وبالنهاية يجب أن تعرف أن بعض الأشخاص الذين تقابلهم في حياتك.. هم عبارة عن وباءات وليس ابتلاءات فحسب.

وللأسف أنت من تسمح بانتشار ذلك الوباء حين تعطيه حجمًا أكبر من حجمه.. بينما هو صغير جدًا.. وصغير في عين نفسه أيضًا.

وأنت من تصنع منه شيئًا.. وهو في الحقيقة لا شيء.

هؤلاء لا يصح أن نسامحهم.. لأننا كلما غفرنا لهم ازدادت أعدادهم وتفاقمت بلواهم وكأنهم طاعون أقسم ألا يترك مكانًا إلا ودمره.

لا تترك أحدًا يشوه معالمك.. لا تغفر لمن يتعمد إيلامك.

ما زال مستمعًا لي في سكون ملئ بالعبث والخيبة.

- أنت مش لسه هتخرج من حياتي.. أنت خرجت فعلاً.. صفحة واتقفلت للأبد.. عارف المشكلة فين؟

معلقًا في حيرة.

- فين يا عنان؟

- إنك عارف طبيعة شخصيتي وتفكيري ومبدأي في الحياة.. ورغم كده كسرت كل جميل جوايا.. بس تعرف عمرك ما حتكسرنى.. لأني عايشة عشان أتعلم.. وادينى أتعلمت.

- مجرد حياة

شئت أم أبيت ستتغير.. ستولد كلما ماتت روحك.

ستقوى كلما خُذِلت.. ستقف كلما تعثرت.

ستضحك كلما بكيت.. ستُمنَح كلما مُنِعت وستتعلم كلما عانيت.

حتى أدمعك الحبيسة بداخلك التي لم تسقط بعد.. لا ينساها الله ولا ينسى من تسبب في انهيارك.

وحده قادر أن يحول دمعك لؤلؤًا منثورًا ليعوضك خيرًا كثيرًا.

هي حياة واحدة.. لذا لا تخف فيها.

لا تحزن ولا تجزع ولا تيأس.

تمهل حتى يتبين لك أن جميل ظنك لم يخذلك.. وجميل عرفانك مع الآخرين سيعود إليك قريبًا.

وسينتقم لك القدر أشد انتقام ممن فرطوا في حياتك وممن استخفوا بروحك.

من قام بتوظيف ألمك في صالح أنانيته.. ومن لم يقدروا وجودك في حياتهم.

- أنا مش ندمانة أني قابلتك ولا هاممنى إنك كذبت وصدمتني بالشكل ده.. إحنا اتخلقنا عشان نتوجع بإيدينا.. أنا هعرف إزاي استرد كرامتي واقف على رجلي من جديد.. هعرف استوعب الأزمة.. ولو بموت فيك هعرف أحيا من جديد

وأترك ما تخشاه وما يؤلمك.. حتى وإن كنت تموت عشقًا فيه.

تحرر من قيده.. انفض عنك عبوديته.

أجرب دائمًا أن أكون أكثر تقبلاً للواقع بكل ما يحمل من تعسف وأعباء لا تليق بعمري.

قد أضطرب تارة ويصيبني الضجر.. وتارة تجدني أعاند حظي في ثبات بديع.

- همشى وأنا عارفة إنى سبت لك درس مهم زى ما أنت سبتلى دروس كتير.

هامسًا في ظمأ شديد كطير يرى الماء بين يديه ولا يقدر على الارتواء.

- عنان.. ده آخر كلام ليكى؟ يعنى مفيش فرصة تانية؟ يعنى مش هتسمعيني على الأقل

- سمعتك وفهمت حقايق كتير متأخر.. يمكن لو كنت عرفتها بدرى شوية كان ممكن أسامح واغفر وادي فرص كتير مش فرصة واحدة

في أعماقنا كم كبير من المشاعر التي لا تحكى ولا توصف.. ولا تموت ولا تحيا.

هى فقط عالقة بين جحيم قلب وثورة عقل ولهفة روح.

وأود هنا لو أن أهين كبرياءه كما أهان قلبي.

النساء لا يمارسن العناد إلا مع رجل يتعمد الإساءة لهن شعورًا وتصرفًا.

النساء كقطع اللؤلؤ.. لا تلمعن إلا في أيد تزهر بالرحمة والرجولة الحقيقية، والرجولة الحق أصبحت نادرة الوجود بيننا هذه الأيام..

نادرًا ما نجد من يعدك بشيء ويفي بذلك..

نادرًا ما تجد من يعدك بشيء ويفي به.

نادرًا ما تجد من يتشبث بقلبك ويكون ذبيحك حتى الممات.

نادرًا ما تجده بجانبك كظلك في أوقات الشدة والاحتياج.

نادرًا أولئك الرجال الذين يلتزمون بعهد أو بكلمة.

فقديمًا أفهمونا أن الرجل كلمة.. والنساء تنخدع كثيرًا بالكلمات المنمقة البراقة الساطعة على شفاه خادعة.

أعلمي يا امرأة.. أنك حينما انقض ظهرك لن يقيمه أحد.

ولن يعينك على مأساتك أحد. وحين خُذِلت لم يربت على كتفك أحد.. ولم يقم بمحو دمعتك أحد.

كافية أنت نفسك.. خيرك وشرك.

في الحقيقة، وبعد عدد من التجارب.. ستتعلم أن لا أحد يدوم لأحد.

والاهتمام لا يجف.. لتحصد برودًا ممن حولك.

سينتهي عصر التأثر الشديد.. وسيمر الجميع من أمامك مرور الكرام.

أتراجع بمقعدي إلى الخلف لأقف مسرعة وأقوم بتوديعه الوداع الأخير.

- كرم.. هتقابل غيرى وبرضه هتكسره.. بس وانت بتكسر حد بعدى إعرف ان هييجى عليك اليوم اللى هتنكسر فيه.. هتلاقى اللى يحطم أملك قدام عينيك.. أما أنا فأنا مبسوطة لأنى اتعلمت درس جديد.. خرجت من تجربة أينعم مش طويلة لكن سخيفة.. لكنى أتعلمت.. سلام

لا أتذكر كيف كانت لون الشوارع في عيني حينذاك..تتلعثم الحروف وتتعثر الخطى.

أنصرف عنه غارقة في حيرة وحرب تشتعلان ألما..ولكن تكمن بداخلي الأنثى التي تأبى الخسارة بكافة أشكالها.

هناك من لا يستحق أن نتألم من أجله، أو نبكي على أطلاله، أو نراهن على بقائه.

هناك من لا يستحق اعترافنا أمامه بالهزيمة...لأن الهزيمة ستكون حينها ساخرة.

هناك من لا يستحق أن نحيا في محرابه أو نسير بخطاه.

تجربة سخيفة كاذبة ولكن أعلم أنه كان علي أبصر من ذلك...وأن تقوى بصيرتي أكثر من ذلك..

كلما ازداد عمرك.. كلما أيقنت أن تلك الحياة لا تستحق كل ذلك التأثر.

ترحل مصاعب وتأتى غيرها.. تموت ضحكات وتولد أخرى.

يذهب البعض ويأتي آخرون.. "مجرد حياة".

"مش كل غلطة بتتنسى بالمغفرة.. مش كل آسف بتشفى العليل.. أوقات الغلطات بتقلل من مكانة الشخص لحد ما يبقى وجوده زى عدمه في حياتك".

(إن الذعر الذي ينتابك تجاه التجربة هو الفزع الصحي الممزوج بالنضج الجميل ليعلمك ألا تخش شيئًا أو أحدًا في تلك الحياة).

أصعد إلى مكتبي في انتعاشة صيف عجيبة.. غير منهزمة وغير مكترثة لضجيج عقلي.

ولكن هناك شيء بصدري يؤلمني بشدة.

ورغم ذلك أرسم شيئًا من الابتسامة على وجهي حتى لا يقرأني أحد.

كيف تفعلين ذلك... كيف تبكين وتضحكين في آن واحد؟.

كيف تتمزقين إربًا ولا يدرى أحد ما بك؟.

كيف تصطنعين الضحكات بينما يقيم الهم حول عينيك إقامة جبرية؟.

وألمك أكبر من أن يحكَى.. كيف استطعت ذلك.

في نفسك أنت ملك.. وفى أعينهم ولد.. وفى حقيقتك قد خلقت في كبد.

يقتلك شجن.. ويؤلمك حنين.

خلقت من طين.. روح ويقين.



فلتكتفي بهذا القدر

فلتكتفي بهذا القدر من الأشخاص.. الآلام.

رحيلك عن نفسك.. الأكاذيب والأوهام.

فلتكتفي بهذا القدر من الصبر على الأذى.. ادعاء الحب الذي عشته مرارًا بجانب من خذلوك بلا رحمة.

فلتكتفي بهذا القدر من الكفاح في علاقة تريبك.. ترهقك وتحتل وجدك لكي تتفنن في كسرك.

تكتفي بهذا القدر من البقاء مصدومًا مهزوما كعادتك من العذابات المتلاحقة.

من تحمل ما لا يحتمل...وبما لا تطيقه نفسك.

فلتكتف بهذا القدر من تهتك جدار قلبك وجرح شريان روحك...من الصفعات المتكررة فوق جبينك البريء.

فلتكتف من خدش كرامتك.. و هتك براءتك..ونزع طيبتك.

وتمزق بطانة الأمل بداخلك...و فقد راحتك...



النساء قويات إلى حد هلاك أنفسهن

النساء أكثر المخلوقات تحملا وصبرا على الأذى..

يا معشر النساء لا تتنازلن عن العيش كراما..لا تتنازلن عن حقوقكن في الحب.

لا تنخدعن بالقول الحسن..ولا تتحملن فوق طاقتكن أكثر مما ينبغي.

لا تبالغن في العطاء لمن لا يستحقه..ولا تسرفن في الحب مع قلب يحترف الكذب.

لا تغفرن الكذب..لا تغفرن المراوغة..

أيتها الأنثى الرقيقة تشبثي بمن يستميل قلبك بأفعاله لا بحروفه، من يتسنى له الغرق في وريدك عشقا...لا من يسبح في شريانك خبثا و خداعا..من يعمل على الوصول لمملكتك لا من ينوي أن يمتلكك...

لا تعفري الأذى النفسي ولا تسمحي به من البداية...كوني قوية ما استطعت.

كوني عاشقة رائعة لمن يتفنن في إسعادك..

أزهري في كل وقت وحين..لا تنظري أن يشدك أحدهم إلى الجنة.

اصنعي جنتك بنفسك.. و لنفسك.. ولغيرك إن استحق ذلك.

علينا هنا أن نعلم أنه لم يسدل الستار، فإن هناك أبطالاً آخرين للألم.

هناك الجار الذي لم أحك عن قسوة أبيه عليه.. وشعوره المفرط بالوحدة والعزلة الأبدية.

رغبته الكامنة في الانتحار دومًا مهما أقنعته بأن هناك حياة تريده.

وهناك أيضًا الابنة التي زوجها أبيها رغمًا عنها خشية كبر عمرها وخوفًا من لقب "**عانس**" و ليته ما فعل..

وهناك ابنة العم التي عاشت قصة حب لخمسة أعوام.. وتقدم حبيبها لخطبتها وإذ به يتخلى عنها في لحظة عقد القران، وهناك من خانته زوجته وجدانيًا.. لا على الفراش فحسب. ومنهن التي تابت عن الحب وأقسمت على البقاء بلا شريك، ومنهن التي انصرفت وانشغلت بعملها.. وصرفت راتبها وميراثها كاملاً على رفاهية نفسها.

لا تكترث لأيام ولا لأحد.

هؤلاء جميعًا لم يصفق لهم الجمهور على خشبة المسرح.. ولكنها الحياة قد منحتهم أدوارًا لا تليق بعمرهم.

ربما لم يسعني الوقت لأحكى عن هؤلاء الجرحى.

فإلى لقاء آخر مع أبطال من الألم....أبطال من أعماق واقع لا يرحم أحدا...



الفهرس